الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد إبن باديس

مستغانم

كليـــــة الآداب والفنون

مذكرة تخرج مقدمة ضمن متطلبات شهادة ماستر أكاديمي

الشعبة:أدب عربي التخصص:دراسات أدبية مقارنة

التأثير الفرنسي في الرواية الجزائرية "نجمة" لـ"كاتب ياسين" أنموذجا

مقدم من طرف الطالب(ة)

- بوزيان عودة

تحت إشراف الأستاذ(ة)

- مسعودي فاطمة الزهراء

لجنة المناقشة:

- أستاذ(ة)	- جامعة مستغانم	- رئيسا
- أستاذ(ة)	- جامعة مستغانم	- مشرفا
- أستاذ(ة)	- جامعة مستغانم	- مناقشا

السنــــة الجامعية:2017/2016

الدعاء

اللهم بك أستعين وعليك أتوكل اللهم ذلل لي صعوبة أمري وسهل
لي مشقته وارزقني من الخير كله اكثر مما أطلب واصرف عني كل شر
رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري كله يا كريم، اللهم يسر لي
الخير حيث كنت وحيث توجهت ، اللهم سخر لي الأرزاق
والفتوحات في كل وقت وساعة ويسر علي كل صعب وهون
علي كل عسير واحفظني بما ينزل من السماء وما يخرج منها
وما يرى عليها يا كريم يا الله اللهم الطف بي في تيسير
كل عسير فأن تيسير كل عسير عليك يسير وأسألك
اليسر والمعافاة في الآخرة والأولى
{ فسنيسره لليسري } يا رب أفتح لي بالخير وأختم لي بالخير.
اللهم انت الموفق والميسر والمسهل والمسخر وأنت حسبي ونعم الوكيل.

إهداء

إن كان الإهداء جزء من الوفاء إلى الذي لا يطيب الليل إلا بشكره ، و لا يطيب النهار إلا بطاعته و لا تطيب اللحظات غلا بذكره الله جل جلاله.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة و نصح الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

لكل عمل نهاية و بداية عملي كان برضائكما و دعائكما، فكانت ثمرة هذا الدعاء التوفيق و السداد.

- إلى من تعب لأنجح الذي علمني الكرامة و الشرف والدي العزيز

- إليك يا ضياء قلبي و نور عيني يا منبع الحب و الحنان والدتي الغالية

- إلى من عليهما اعتمد و أكتسب القوة أخواتي و إخوتي

- إلى الذين تميزوا بالوفاء و العطاء صديقاتي

- و إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد......

خطـــــــة البـــحث:

مقـــــــدمة.

- التأثير الفرنسي في الرواية الجزائرية "نجمة" لكاتب ياسين أنموذجا.

الفصل الأول: الأدب الجزائري الفرانكفوني

- النص الروائي الجزائري الفرانكفوني.
- الأدب الجزائري والتأثير الفرنسي.

الفصل الثاني: تأثير الأدب الفرنسي في رواية نجمة لياسين.

- نبذة عن حياة كاتب ياسين.
- تلخيص مضمون الرواية.
- ملف الشواهد:نقاط تلاقي بين الأدب الفرنسي وأدب كاتب ياسين.
- تجليات أثر الأدب الفرنسي.

الخــــاتمة.

مقدمــــــة:

تعد قضية التأثيرات الأدبية من أبرز القضايا التي تشغل حضورا واهتماما بارزا لدى الباحثين في مضمار الدراسات الأدبية المقارنة لكون أن هذه التأثيرات تشكل ظاهرة فريدة من نوعها في الرواية الحديثة ،جعلت هذه الأخيرة متميزة عن التجارب الروائية الفارطة، حيث شكلت لنفسها جماليات تتعلق بذوق العصر ونبضه ،لإدراك الثقافة الإنسانية ،وبعدها تحديد موقف الإنسان المعاصر منها،فهذه التأثيرات عنصر بنّاء في الرواية العربية الحديثة،وتعد كذلك مصدرا يرجع إليه الرّوائي ليوظفه بما يتناسب مع مسار أحداث الرواية وأسماء الشخصيات في وسط اجتماعي معين.

ومن هذه المعطيات كان عنوان مذكرتي التأثير الفرنسي في الرّواية الجزائرية " نجمة " لكاتب ياسين أنموذجا إذ أن الموضوع ينتمي إلى مجال الأدب السردي المقارن الذي يهتم بدراسة مجموعة التأثيرات الغربية التي تضمنتها الرواية ،ولعلّ أبرز الظواهر الفنية التي تغلقت النظر في الرواية الجزائرية على وجه الخصوص وهذا يدعو دعوة ملحة إلى الاهتمام بها وتقويتها لنضع أصابعنا على مواطن القوة والضعف في ثقافة الأنا المتأثر بالآخر ،فكيف كان تأثير الفرنسي على الرواية الجزائرية ؟ وما مدى تأثر كاتب ياسين به؟ وهل تمثل اللغة الفرنسية أحسن تمثل؟ وأين تكمن مواطن التأثير في الرواية الجزائرية؟

تندرج أهمية البحث على كونه دراسة تطبيقية على أنموذج روائي جزائري بغرض الوصول إلى وظيفة ودور التأثيرات في بناء هذه الرواية ،ومدى انعكاسها على تشكيل الأفكار لدى المجتمع.

ـ لقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأسباب ذاتية موضوعية:

ـ أما الأسباب الذاتية فتتمثل في رغبتنا في قراءة الأدب الجزائري ،لاسيما الأدب المكتوب بالفرنسية ،وفي التعريف بهذا الفن المعروف لدى الغرب والمجهول لدينا فعلى سبيل المثال،رواية "نجمة" من الروايات العالمية المشهورة خارج الدّيار ،ولكن لا يعرف عنها حتى القدر الضئيل ولا يقدرها.

ـ أما الأسباب الموضوعية التي أكدت اختيارنا لهذا البحث الأدبي فهي نابعة من استقصائنا للأدب الجزائري الذي لم ينل حظه مثل نظيره المشرقي ،وقد ارتأينا رفع الستار عنه،فكانت "نجمة" أنموذجا رائعا للدراسة ،تبين من خلالها مدى التأثر بالغرب والحقيقة أننا ألفينا هذه الرواية في قمة الثراء،فهذه الرواية نالت حقها من التحليل عدا هذا الجانب"التأثيرات الغربية" ولذلك أردت أن أخصص دراستي لزاوية محددة ألا وهي "التأثير الفرنسي" وإن كانت فكرة الانطلاق وليدة الاطلاع على عقل سابق ألا وهو"أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية" للحفناوي بعلي.

فجاء الفصل الأول معنونا بالأدب الجزائري الفرانكفوني ،يندرج تحته مبحثين ،المبحث الأول يتناول النص الروائي الجزائري الفرانكفوني وفي المبحث القاني تطرقنا إلى الأدب الجزائري والتأثير الفرنسي .

أما الفصل الثاني فتطرق إلى تأثير الأدب الفرنسي في رواية "نجمة" لكاتب ياسين ،إذ أشرت في المبحث الأول إلى نبذة عن حياة كاتب ياسين ،وتلخيص مضمون الرواية في المبحث الثاني وبعد ذلك عرجت إلى ملف الشواهد حيث نقاط تلاق بين الأدب الفرنسي وأدب كاتب ياسن في المبحث الثالث وفي المبحث الرابع تطرقت إلى تجليات أثر الأدب الفرنسي في "نجمة" لكاتب ياسين ثم جاءت خاتمة هذا العمل التي احتوت اهم نتائج البحث المتوصل إليه.

وتفكيك عنصر التأثير لم يكن بالأمر الهيّن ،إذ كانت قراءة الرواية عسيرة لكونها رواية فكرية وفلسفية واجتماعية ثرية بالرمزية ،وللوقوع على معناها اعتمدنا على المنهج المقارن الملائم لنوع الدراسة ،متبعة بذلك المدرسة الفرنسية فدرست النصوص وفق عوامل التأثر التاريخية والشخصية المناسبة للمنهج الفرنسي.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة،رجال الفكر والأدب المهتمين بالدراسات الجزائرية أو أخص بالذكر أستاذتي المشرفة الفاضلة " مسعودي- ف-" التي رافقتني في جميع أطوار ومراحل هذا البحث.

فنرجو أن نكون قد وفقنا في مسعانا ،فإن لم يكن فحسبنا أن نكون قد بذلنا جهدا.

- الفصل 1:الأدب الجزائري الفرانكفوني:

1- النص الروائي الجزائري الفرانكفوني:

أ) النص الروائي الكولونيالي:

لو تأملنا خطوط سير التاريخ الجزائري لتبين لنا في جلاء التغيير الجذري الذي ساده عبر الأجيال، ويمكن تبويب ذلك تحت اسم حركية الواقع الفكري في جزء من حركة الحياة ، والمفهوم من هذا أنه " لابد من مراعاة الواقع الثقافي وليس هناك من يتجاهله أبدا" [1]فكل مرحلة استعمارية تترك بصمتها على صفحات التاريخ و أن الدارس ليأخذه عجب كبير حيث يتساءل لماذا اتخذ الأدباء الكولونياليون الجزائر موضوعا أساسا في كتاباتهم وخاصة إذا علمنا أن النزعة الاستعمارية تسود كتاباتهم بالكامل و على الرغم من كتابات لويس برتراند و روبرت راندو في الجزائر وتاورد في المغرب إلا أنهم لم يتمكنوا من الانتماء إلى الأدب المغاربي [2]، لأنهم كانوا مجرد سياح تقلبوا في أحضان الجزائر او مستوطنين استقبلتهم المدينة المترامية الأطراف ذات الأصل البربري الإفريقي التي تميزها الشمس وتعكس تقاليدها ونمط حياتها ولهذا عندما يزور المرء قلب الجزائر فإنه سيظن بأنه يعيش في خضم تفاعلات اجتماعية ومؤثرات ثقافية مختلفة بعد ابتلاءها بالغرب ويروق له تقديم صورة عنها واستعراضها في مذكراته كساتوبريان "الذي زار الجزائر أثناء طريقه إلى القدس ووصفها بأنها تتمتع بموقع رائع وجمال ساحر وطبيعة أخاذة".[3]

أما فلوبير فذكر طبيعة الجزائر ووصفها بصورة مغايرة لشاتوبريان بعد قيامه برحلة قرطاجة بحثا عن بطله " سالامبو " مرورا بالجزائر إذ لم يرى فيها إلا المعسكرات والتحصينات في كل مكان، والبيروقراطيين العسكريين الأغنياء والموظفين القساة انه منظر كريه فقير بل لعنة كبيرة"[4]

لا نتصور ان الأدباء الفرنسيين أمثال لويس « louis»و روبرت راند «robert rand » وشارل كورتين« charles courtin » قد اجتموا لنصرة الجزائر بل أخذوا يقلبون على وجه مغاير للقضية الجزائرية و إذا ما تصفحنا منشوراتهم نحس أن هناك فرقا ملحوظا بين الأدب الذي كتبه الجزائريون و بين ما كتبه الفرنسيون ، وإن كان هناك بلاغة

---

[1] - واسيني الاعرج،اتجاهات الرواية الغربية في الجزائر (بحث في أصول التاريخ والجمالية للرواية الجزائرية) ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986،ص126.

[2] -المرجع نفسه،ص127.

[3] -- ينظر سعاد محمد خضر،الأدب الجزائري المعاصر،منشورات المكتبة المصرية ،بيروت،لبنان،1967،ص94.

[4] - ينظر المرجع نفسه ،ص100

واحدة و في بيئة واحدة "[1]

ب) التطور المرحلي للنص الجزائري الفرانكنفوني:

- يعتبر الأدب الجزائري تجربة فريدة من نوعها دخلت التاريخ من بابه الواسع ووضعت له مسارا محايدا ورسمت أهدافا أطرت المجتمع بإطار مختلف فتولدت حركة أدبية خلفت وراءها أعمق التركات أثرا و أكثر المنجزات الإبداعية شموخا وعبقرية وكان لهذا الأثر في فكر حياتي بناءا وربما "الضمير التاريخي هو الذي ميز الكتاب الجزائريين عن جيرانهم المغاربة وساهم في فتح أبواب التفاعل الانساني بحسب متطلبات وتطلع الفرد غلى آفاق الإبداع الرحيبة كما أن التحدي المفروض على الثقافة العربية هو إلى ولد هذه الطاقات الإبداعية الشابة التي جاءت بالجديد واستطاعت ان تفرض نفسها محليا وعربيا وعالميا"[2]

- ووقوفا عند هذه النقطة ، عمل العديد من المفكرين والمؤرخين على إدراج الأدب الجزائري ضمن دائرة الأدب الفرنسي من جهة والأدب العربي من جهة أخرى فهناك من يرى أنه فرنسي خالص وهناك من يرى أنه أدب ذو قلب عربي، وعقل فرنسي على اعتبار أنه أدب مكتوب بروح عربية مترجم إلى الفرنسية أي أنه ترجم الروح العربية والبيئة العربية إلى لغة الآخر[3]، لأن الضرورة اقتضت أن تتعرض الجزائر لكل محدث جديد بعد أن وطأت الأقدام الاستعمارية أرض الجزائر والتي لم تتقاعس للحظة في تثبيت حاكميتها المؤقتة بها، وإن كانت تتوسم إضعاف هوية الشعب وذمتها "وفرضت مقاومتها باللغة التي أجبرت الأقطار المستعمرة على تعلمها فلم يملك مبدعوها من سلاح للمقاومة بالكتابة سوء لغة الاستعمار التي فرضوا عليها تجسيد مشاعرهم القومية ورؤاهم التحررية" [4]، والحق أن صور الاحتلال تحددت وقربائه تزايدت فشملت كل ما يصدر من إبداع اجتهادي بتوثيق عقد يضمن مدخولا ماديا لكل مبدع مع تفادي الكتابات المنافية للتوجه الاستعماري ليعلو لسانه فوق لسان المسلمين و "معروفة الضغوط التي تمارسها دور النشر الفرنسية"[5]

---

[1] - حفناوي بعلي،أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية ،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران،الجزائر،2004،ص112.

[2] - الأخضر الزاوي بلقاسم،صورة المدينة الجزائرية في الرواية العربية بعد الاستقلال وعند البير كامو،رسالة ماجستير ،جامعة القاهرة،مصر،1998،ص100.

[3] - عز الدين المناصرة،الهويات والتعددية اللغوية،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،ط1،عمان،الأردن،2004،ص388.

[4] -. جابر عصفور،تجارب في الإبداع العربي،ط1،وزارة الإعلام ،مجلة العربي،الكويت،2009،ص20

[5] - الأخضر الزاوي بلقاسم،المرجع نفسه،ص108.

وحصد الأدب الجزائري أشهر الأعمال الروائية العالمية التي استغرقت مراحل تاريخية ليست بالهيئة تعددت اتجاهاتها وتباينت رؤاها:

- هذا الفرق يتمثل في رسم شمس الجزائر وجاذبيتها في أجمل الصور ومن جهة أخرى "فإن استعمال لغة مشتركة وهي الفرنسية ولم يوجد تماثل بين الكتاب الجزائريين والكتاب الفرنسيين"[1]

لأن انشغالات الفئتين تتباين العرق والبيئة و التصور ،وكل ذلك " يرجع لعوامل جغرافية واجتماعية وتاريخية تخضع لها كل منهما فالجزائريون هم الثمرة المباشرة لأرمنهم"[2]

- حملت تلك الصورة التي رسمها الأوروبيون كل خصائص الإنسان الجزائري وسذاجته اللامتناهية ولم تتوقف مواكبهم ولا جموعهم عن الإشادة بالهواء الجزائري المتوسطي الذي ينقص فرنسا فهم على العموم يرسمون صورة ساحرة لطبيعة المنطقة وفي المقابل صورة ساخرة أو باهتة أو مضحكة للسكان"[3]

- أما أعضاء مدرسة الجزأرة (1920) التي تزعمها كل من جون بومبي وروبرت أرنو فاجتهدوا بالمناداة بالفرانكفونية وحاولوا تبرير صداقاتهم مع الجزائريين وبقيت العرقية مكشوفة لأنها تصبوا إلى توحيد الأجناس القومية الأوروبية المقيمة بالجزائر واعتبروا أدبهم أدبا فرنسيا ولو كانوا خارج وطنهم " وهكذا فإن الكاتب يعتبر عاجزا عن الانسلاخ ، ليس عن عصره فحسب ، كما يؤكد ذلك سارتر ، بل عن موطنه كذلك"[4] كما فرضوا الردعية الاستعمارية التي تخطت حدود أوروبا ورسموا طريق الغد وحددوا أبعادهم ونواياهم السوداء عبر النظرة اللاتينية للجزائر وتحت شعار ورثت الرومان بالجزائر ولم تتجاوز نظرتهم إلى المستعمرة الجانب السطحي الابستملوجي ولذلك فتحوا الباب على مصراعيه أمام الطموح الاستعماري ووجد المستعمرون أنفسهم في موقف يستحيل فيه عليهم أن يكتبوا الآمال التي ولدتها الحرب وساعد على نوها بدأ ذيوع الأفكار الوطنية"[5]

---

[1] - عايدة أديب بامية،تطور الأدب القصصي الجزائري،1925-1967،تر.محمد صقر،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ص53.

[2] -المرجع نفسه،ص53.

[3] - عبد الله الركيبي،الفرانكفونية مشرقا ومغربا،دار الأمة ،برج الكيفان،الجزائر،1993،ص96.

[4] - عايدة أديب بامية،المرجع نفسه،ص 142.

[5] - عبد العزيز شرف،المقاومة في أدب الجزائر المعاصر،دار الجبل،ط1،بيروت،لبنان ،1991،ص36.

- واستطاعت مدرسة الجزائر أن تفتح الباب أمام رواد الأدب الجزائري الفرانكفوني ويعترف مولود فرعون بان كتاب مدرسة الجزائر مثل " كامو" و " روبلس" الذين تعرف عليهم في مدرسة بوزريعة بالجزائر العاصمة هم الذين فتحوا له النفاق الادبية التي ظلت سدولها مسدولة منذ زمن بعيد وكتب رسالة سنة (1959 م) إلى روبلس يقول :" أنتم أول من قال لنا ها نحن كذا وأجبناكم كذا هم نحن من جهتنا عندئذ بدأ بيننا الجدال وسجلت الأحداث ،فتحتم الصراع"[1] والمقصود بالصراع هنا هو الخلاف القائم بين فرعون وأصدقائه الأدباء الفرنسيين حول أصالة الانتماء الحضاري العربي والانتماء الغربي.

<u>- فترة ما قبل الحرب (1949-1830):</u>

ولعل منطق مقاطعة المقاومات فرض على الجزائريين الاهتداء إلى خلق قشرة لغوية تصير فيه جديدة مرتبطة زمنيا بالاحتلال وأجبرهم على" أن يستخدموا اللغة الفرنسية وهي حد تعبير مالك حداد -لغة لا شك رائعة- الأمر الذي حملهم على أن يوجدوا انسجاما وتنسيقا بين عبقريتهم القومية وبين أداة لغوية كان لابد من استخدامها"[2]

و الحقيقة -التي لا مراء فيها- أن فرنسا قضت على حيوية الفرد وقيدت حريته وسلبته رأيه وهاجمت لغته ردحا من الزمن وعلى الرغم مما حدث تفاعل معشر الأدباء معها إيمانا منهم بأنها نقطة الانطلاق إلى باقي الدول و" بأن فرنسا واللغة الفرنسية قد توصلهم إلى العالمية"[3]

في بداية القرن (20م) طرح الأديب الجزائري نفس التصورات والطروحات التي نقلها الفكر الفرنسي إذ " ارتبط هذا الأدب في المقام الأول بوجود قوات الاحتلال الفرنسية في بعض البلاد فلا شك أن بعض الأدباء في المغرب العربي يعتبرون أن لغتهم الأولى هي اللغة الفرنسية وذلك بواقع أكثر من مائة وثلاثين عاما من الاحتلال الفرنسي لكل من الجزائر وتونس والمغرب "[4] ، وقبل أن نتحدث عن الأدب الجزائري لا بد أن نلقي الضوء على وضع الجزائر الثقافي بعد فترة الصراع الفكري التي جعلت الجزائر تتخلف عن شقيقاتها في المشرق العربي وافتقارها للاتصال ببقية العالم وانقسام كتابها إلى طائفتين.

---

[1] - ينظر عبد القادر توزان،الجزائر في أدب البيركامو،رسالة ماجستير،جامعة بغداد،العراق،1985،ص54-55.

[2] -عبد العزيز شرف،المرجع السابق،ص50.

[3] - عز الدين المناصرة،المرجع السابق،ص371.

[4] - محمود قاسم ،الأدب العربي المكتوب بالفرنسية،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر 1996،ص11.

- دعت الطائفة الأولى إلى العودة إلى المنابع الإسلامية ومفاهيم الإسلام الأصلية بعد التحولات الجديدة التي شهدتها الجزائر وفي ظل التغريب المفروض على المجتمع الجزائري المسلم والذي استمد مفاهيمه من الفكر الرأسمالي الزائف ، استضاءت تلك الطاقة بالمنهج الإسلامي وتجاوزت الثقافة الزائفة و أهم "من يمثل هذا الاتجاه ، هما الكاتبان ، مالك نبي وعلي أكماني"[1]

وانصهر مثقفون جزائريون آخرون في الفكر الوافد تحت ضغط الحملة الاستعمارية ودعاوي الفكر المضلل فصبغوا بصبغة أخرى - الفرانكفونية - و"كانت الغالبية الكبرى من الجزائريين في الشهور الأولى من تاريخ الثورة ، ترى في ذهنها كل شيء مكتوب باللغة الفرنسية ،مماثلا للتعبير عن سلطة الاحتلال[...] وكان علامة الوجود الفرنسي"[2]

ويقيني أن هؤلاء -الفئة الثانية- لم ينتهجوا منهجا مستقلا بذاته وإنما تحمسوا للمنهج العربي بعدما اتخذوا اللغة الفرنسية لسانا لهم وهذا " من تناقضات الواقع الثقافي في المغرب العربي من وجهة كان النضال ضد السيطرة الفرنسية العسكرية والسياسية ومن جهة أخرى كان العمل على بقاء اللغة الفرنسية قوية ومسيطرة "[3] كمحاولة منهم لتحدي الفرنسيين وللتأكيد على أنهم يكتبون بلغة الآخر بمؤهلات وقدرات خارقة وهموم التوحيد في ذلك هو تفادي الأخطاء الإملائية والنحوية وإظهار نضجهم اللغوي.

- لكن اهتماماتهم حجبتهم من مؤازرة قضيتهم الأهم وبقي أدبهم ضمن دائرة محدودة بعد الانفتاح على الآخر وتقربهم من المستوطنين الأوروبيين بفضل" إجراءات سياسية و إدارية اتخذتها الحكومة الفرنسية خففت من حدة التوتر و هيأت الأجواء المناسبة لمثل ذلك الانفتاح وتمثلت فيما أصبح يعرف بقوانين 4 فبراير 1919م التي ألغت السلطات الاستعمارية بموجبها معظم مواد قانون الأندجينا العنصري"[4]

- سعى هذا القانون إلى تقليص الصراع الفكري المحدود والملابسات العرفية في الوقت التي كانت فيه كل ثقافة تحاول أن تجد مكانا لها يبرزها ،ويعكس تقاليدها تحت نقل أحمال كثيرة تتقدمها مشكلة التمييز العنصري وتضمن هذا الإصلاح السياسي الاعتراف بجهود الجزائريين المشاركين في الحرب بعد مرور السنة المئوية لاحتلال الجزائر فكان "لابد من

[1] - عبد القادر توزان،المرجع السابق،ص33.

[2] - عز الدين المناصرة،المرجع السابق،ص365.

[3] - عبد الله الركيبي،المرجع السابق ،ص109.

[4] - أحمد منور،الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة،مطبعة اقتياح ،برج الكيفان،الجزائر،ص100.

إظهار ما أمام الرأي العالمي والفرنسي نفسه، يبرر استمرار احتلال البلد ويظهر ثمار الرسالة الحضارية التي طالما ادعى الاستعمار الفرنسي أنه جاء لنشرها في الجزائر فكان لابد من تشجيع الأدب و نشر أعمال إبداعية لكتاب من الأهالي"[1]

- كانت بداية هؤلاء الكتاب متواصفة ممولة بالرغبة في توفير إبداعات جزائرية أكثر تعقيدا واستقرارا تتضامن مع إمكانية تفسير قضاياهم التقليدية و من ثم أصبحت مسألة تعاطي الخمور لعب القمار ،من الحياة اليومية العادية للفرنسيين أدخلوها معهم الجزائر"[2]

وما نلحظه هنا أن نمط النص الجزائري لم يتجاوز نمط النص الكولونيالي وتتلخص وظيفته في إرشاد المتلقي أو القارئ إلى صورة المجتمع الجزائري المفرنس حتى أن "روائي هذه المرحلة في تأثر واضح بكتابات المستوطنين الأوروبيين من مدرسة الجزائر ،أحلوا مسألة الزواج المختلط بين الجزائريين و الفرنسيات المحل الأول وهو الشيء الطالب أو بين الفرنسيين والجزائريات"[3]

ولا شك أن هذا الطموح الموضوعاتي يتجلى في أساس كتابة كل من عبد القادر حاج حمو، سليمان إبراهيم وغيرهم ،وعلى هذا النحو " ظهرت في عشرية (1920م-1930م) خمسة أعمال أدبية ، وهي مجموعة سالم القبي الشعرية والسيرة الذاتية للقايد بن الشريف ونضيف اليها رواية زهراء المنجمي لعبد القادر حاج حمو التي صدرت سنة 1925 ومأمون لشكري خوجة التي صدرت سنة 1928م و العلج أسير ببروسيا للكاتب نفسه صدرت سنة 1929 م.[4]

كما شكلت إمكانية الحصول على صفة المواطنة الفرنسية جزءا كبيرا من انشغالات الكتاب الجزائريين " وجاءت هذه المسألة كجزء من الانفتاح [...] وكنتيجة للإصلاحات التي أتت بها قوانين 4 فبراير"[5] ولهذا فغن جان بيجو "*يتخذ سنة 1920 م كانطلاقة حقيقية لهذا

---

[1] - أحمد منور، المرجع السابق،ص102.

[2] - المرجع نفسه،ص105.

[3] - المرجع نفسه،ص105.

[4] - المرجع نفسه ،ص101.

[5] -المرجع نفسه،ص103.

* أشار هذا الباحث في وقت سابق إلى أول نص أدبي كتبه باللغة الفرنسية يرجع تاريخه إلى سنة 1891م وهو عبارة عن قصة بعنوان"انتقام شيخ" مستقاة من التقاليد الاجتماعية الجزائرية ،كتبها محمد بن رحال ونشرتها المجلة الجزائرية التونسية،الأدبية والفنية،لكنها لم تصل إلى المعنى الاحترافي للنص،زد على ذلك فترة الفراغ المسجل بين 1891 و 1920م جعله يتراجع عن رأيه.

الأدب الناشئ و يعد مؤلف القايد بن الشريف الموسوم و " احمد بن مصطفى القومي " بداية تلك الانطلاقة وينظر إليه أن أول رواية يكتبها جزائري باللغة الفرنسية"[1]

لكن الدعوة إلى الاندماج فيها مغالطات شنيعة منها إبهام الجزائري أنه حتى يكون عضو فرنسيا في المجتمع لابد أن يهجر حياته العربية الإسلامية وأن يتضامن مع حركة الفتيان الجزائريين الذين ينادون ب "ادماج الجزائريين مع الفرنسيين ولا سيما الشباب الذين تحمسوا لهذه الفكرة وقد نشط هؤلاء الشباب عقب غرض التجنيد الإجباري على الجزائريين سنة 1912م"[2] ، وفي الحقيقة افتقرت محاولات هؤلاء كمعنى القص الحقيقي لكونهم حيلوا على مرجعية أساس -ألا وهي فكرة الشعر ديوان العرب- وبعد تبلور الشعر الوطني الذي استفاد بدوره من الحركات الإصلاحية المادية باحياء التراث القومي واندفع الجزائريون الى اقتحام العالم القصصي على يد محمد السعيد الزاهري في كتابه الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير وهو من بين " الروايات التي ظهرت في الفترة ما بين 1929-1948م وهي على حال قليلة العدد لا تتعدى سبع روايات في مجملها"[3]

- وتأتي في مقدمة المسائل الخلافية المتعلقة بأبعاد الأسلوبية القصصية الجزائرية إشكالية مضمون النصوص الجزائرية التي تعادل النصوص الفرنسية وفد أشار بوجدرة إلى أن تشجيع الكتاب الفرنسية مرجعه إما أن بعضهم يكتب نصا سياسيا يروق للفرنسيين ويروج لأفكارهم وبعضهم يكتب القصة بطريقة فنية جميلة تجمل أفكارا عربية وموجهة أساسا للاستهلاك الغربي"[4]، فهؤلاء القصاصون لم يتعودوا على النقد أو جوانبه الموضوعية إضافة غلى ضعفهم في لغة المنشأ وقد كتب

الأدب الجزائري " باللغة الأجنبية لظروف قاهرة اضطرت مجموعة من الأدباء الجزائريين أن يكتبوا بها لأنهم ل يعرفون اللغة العربية بعد أن حرموا منها"[5]

- أما الدلالة الثانية لهذه الظاهرة فهي ضيق تصورهم للحقيقة والذي لم يستوعب المقدار الأوسع من الوعي وهذا ما يفسر جانبا من تراكم التصوير الفولكلوري للحياة الجزائرية يقول مولود معمري أن هذا " الأدب يرى المجتمع المغربي بنفس العين التي تراه الأقلية

[1] - أحمد منور،المرجع السابق،ص98.

[2] - عبد العزيز شرف،المرجع السابق،ص32.

[3] -أحمد منور،المرجع السابق،ص104.

[4] - عبد الله الركيبي،المرجع السابق،ص92.

[5] - عبد الله الركيبي،حوارات صريحة،دار هومة ،بوزريعة،الجزائر،2000،ص99.

تصويرا انثولوجيا بحثا تصويرا خارجيا ومتشيائا، ومن ذلك روايات الحاج حمو عبد القادر ورواية "عزيزة" لجميلة دباش ورواية "بولنورا" لزناتي وغيرها"[1]

- وكانت اللبنات الأساسية في نظر هذا الرعيل هي الواقعية الفوتوغرافية المتحجرة التي تفتقد الرؤية العميقة وتبتعد عن الشؤون الداخلية للبلاد وعن التفاعل مع الموضوعات ذات الصلة الوطيدة بالمجتمع فالفن القصصي الجزائري " المكتوب باللغة الفرنسية كان متطورا نسبيا ، خصوصا إذا ما قورن بالتراث القصصي المكتوب باللغة العربية قد تفتح على الثقافة الأجنبية والفرنسية منها على وجه الخصوص ، معتمدا في البداية على الرؤية الكولونيالية "[2] وكان المجتمع التقليدي المحور الأساس في كتابات هذا الجبل غير أن نظرتهم السطحية تضافرت مع الذوق الفني في إطار خدمة التكاملية الاستعمارية وطموحات فرنسا قلبا وقالبا"وقد أدى هذا المزيج إلى ,,,تمزق في الفكر الجزائري,,,إذ تشده عقلانية ديكارتية... ومنطق مبهم ورجعي ،وشاعرية رائعة وأنيقة"[3]

- ويعبر بعض المفكرين عن أسفهم الشديد على المثقفين الأصلاء الذين اتخذوا مواقف سلبية و أحيانا حيادية تجاه القضايا الوطنية والقومية والعقلانية ولعل جان عمروش واحد هؤلاء الذين افتقدوا مقوماتهم الأصلية و أحسوا بالفراغ الروحي ، فأصبح" هذا الشاب يعيش لغة ليست لغته الأم ويكتب بهذه اللغة الغربية التي ينتسب غليها بحكم التعليم"[4] ، لأن اهتمام النخبة إبان الفترة كان منصبا على الخرافات المنتشرة بين أفراد المجتمع كما كانت رغبتهم الجامحة في نفس الوقت مجاراة الكتاب

ملكا للفرنسيين وليس سبيلها الملكية الخاصة ،ذلك لأن أية لغة يمكن أن تكون ملكا لمن يسيطر عليها ويطوعها للإبداع الأدبي"[5]

- وكل ذلك سلوك ناجم عن أمرين : ولهما التأييد المطلق لفرنسا والذي شكل الإطراء الشديد أما الأمر الثاني فهو الافتقار إلى الموضوعية المصحوبة بمجافاة الأهداف الوطنية وشكل نشاط جان عمروش أوليا ناجحا في غمار الأدب الأصيل وظهر الأدب الأصيل في عام 1939م على يد جان عمروش في كتابة " أغاني بربرية" من بلاد

---

[1] - عبد العزيز شرف،المرج السابق ،ص41.

[2] -واسيني الأعرج،المرجع السابق،ص44.

[3] - عايدة بامية أديب،المرجع السابق،ص55.

[4] - جابر عصفور،المرجع السابق،ص22.

[5] - محمد الطمار،تاريخ الأدب الجزائري،الشبكة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،2007،ص380.

القبائل[1]« chants berbères de Kabylie »

- فترة الحرب (1945-1962م)

استمرت الحركة الثقافية في النمو شيئا فشيئا بعد بروز عدد كبير من المؤلفات المكتوبة بالفرنسية والتي استقطبت الجمهور الجزائري والعالمي غليها لارتباطها بالواقع ف"استغلت اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية ،كسلاح وجهه كتاب مناضلون إلى صدر المستعمر وهذه الحالة ربما انفردت بها الجزائر عن غيرها من الأقطار العربية " ونجم عنها الاعتراف بالأدب الجزائري الفرانكفوني على انه أدب عربي - على الرغم من كونه مكتوبا بالفرنسية- عرفانا بدوره الكبير في التعبير عن قضية الجزائر فقد" ظل الأدب نقيا يعبر عن هموم وطنية برؤية تقدمية في شكلها العام بعيدة عن كل روح شوفونية كما ظلت السمة التفاؤلية غالبة عنها ولم يكن أبدا أدبا كولونياليا"[2]

وربما إن الاحتلال لم يأت لأخذ الثروات المادية و الأموال فحسب بل طمع في مجاراة الاستيطان الذي حدث في العالم الجديد وما يردده الأوروبيون من أسطورة الغرب الذي قهر البحار والمسافات وأقام حضارات فغنه لقي معارضة من قبل مفكري الأوطان المحتلة " تأثر بأفكار الحركة الوطنية التي تصدت لاستعمار وطابعه المميز ونسجا على هذا المنوال حاول استئصال الشعب وإحلال مجموعات بشرية من أجناس مختلفة"[3]

- وربما تفسر أسبقية الرواية الفرانكفونية الزمنية على شقيقتها المكتوبة بالعربية بانفتاحها وتطورها واستيعابها للتحولات التي يعيشها المجتمع الجزائري فقد" استطاعت هذه الرواية أن تتوجه توجها تقدميا بشكل عام عكس ما توفاه الاستعمار غذ كان يحلم أن يجعل من الكتاب الجزائريين بنادق استعمارية، ورموزا رجعية تخدمه مع الصعيدين الاجتماعي و الثقافي "[4]

- وفي طور تأسيس خطواتها الإبداعية الواثقة كانت وليدة اجتهادات عديدة تستند إلى موروث محلي متمكن ، تضاف إليه اللمسة الأوروبية وهكذا "نجد في الواقع ثلاث تيارات : التيار الذي يختار الفرنسية ،لكنها فرضت عليه الاستعمار والتيار البرجماتي الذي لا يريد التحلي عن فوائد الفرنسية بسبب ضعفه في العربية ،و ثالثا تيار التبعية والتلذذ بالتبعية

[1] - ينظر عايدة بامية أديب،المرجع السابق ،ص66.

[2] - واسيني الأعرج ،المرجع السابق،ص68.

[3] -المرجع نفسه،ص75.

[4] -المرجع نفسه،ص27.

النابع عن عشق الضحية للجلاء وكرهه في آن معا"[1] والتيارات الثلاث تتأثر سلبا وإيجابا بقضية الجمهور فأي الروايتين العربية أو المكتوبة بالفرنسية تتمتع بجمهور عريضة؟وايّهما اثبتت نفسها محليا وعالميا ؟وأيّهما حظيت بالترجمة إلى مختلف اللغات ؟وأيهما نشرت منها أعداد أكبر؟

- إذا نظرنا إلى الموازين السابقة الذكر - إضافة إلى آراء المتخصصين النقدية- نجد أن الكفة تميل على رسوخ الثقافة الفرنسية في الجزائر وعلى تفرنس الشعب الجزائري وفي المقابل كانت الحركة الوطنية تسلط الأضواء عليه كي توصل صوتها النضالي إلى العالم"[2] ،واستغرق الشعب الجزائري الذي عاش قرنا وثلث القرن من المسخ وتزييف الحقائق وقتا طويلا مليئا بالنضال والمجهودات الصادقة لإعادة إبراز الهوية الوطنية على الوجه المطلوب وصمّم الكتاب على أن "يعرفوا العالم الخارجي بجزائر مجهولة ،كان اكتشافها مدعاة للحيرة والدهشة ليس للقراءة فحسب ،بل للكتّاب أنفسهم"[3]

- فاتخذ ذلك الصراع القائم بين الجزائر وفرنسا أشكالا ووسائل متعددة خاصة من الانتفاضات والثورات التي تضافرت جهود عدّة لانجازها وربما ينبغي النظر غلى المسألة بموضوعية أكثر لان الكاتب الجزائري خدمات إنسانية مثالية ،أبرزته على حساب الروائيين والمسرحيين الفرنسيين أنفسهم ،وأبدى تمكنه من التعبير عن التحولات التي يعيشها الوطن الأم وأظهر قربه من الهموم والقضايا الوطنية " والأدب المعبر تعبيرا صادقا عن محنة شعب معين وروح المقاومة فيه وان كان ينطلق من إقليم معين هو أدب إنساني لأنه يتمثل في صميمه الذات القومية ليعبر حيز الحياة الإقليمية الى حيث نطاق الأدب العالمي ،هكذا فعل لوركا في اسبانيا واوكيزي في ايرلندا وكزلزاكيس في اليونان وطاغور في الهند ويؤكد هذا الرأي ان الأدب الجزائري أثار مشكلات وتناول أوضاعا كانت لها القوة في إثارة الضمير الإنساني في لحظة تاريخية معينة"[4]

وعلى العكس من الفترة السابقة ،شهدت فترة الخمسينات إقبالا واسعا للجمهور على الأدب الجزائري باللسان الفرنسي وذلك لاهتمامه بالعواطف الوطنية المتأججة ودفاعه عن قضايا الشعب والوطن ومن ثم تماثل وان لم نقل تساوي هدف الكتاب الجزائريين مع إخوانهم الثوار ببحثهم في صميم المحلية الجزائرية وقضايا المجتمع الداخلية فالبعض" تناول المقاومة الداخلية والبعض الآخر ركز على المحاربين في الجبال والمقاومة في تلك المناطق

[1] - عز الدين المناصرة،المرجع السابق،ص372.

[2] - الأخصر الزاوي بلقاسم ،المرجع السابق،ص107.

[3] - عايدة أديب بامية،المرجع السابق،ص141.

[4] - عبد العزيز شرف،المرجع السابق،ص162.

وعدد قليل انتقل بالقارئ أما إلى الحدود الجزائرية أو إلى فرنسا"[1]

ومن هذا المنطلق يتمثل دور الكاتب في بث رسالة حضارية فمن أقل واجباته أن يدرك الأهداف التي يخدمها وان يعرف لمن يكتب؟ وماذا يريد من الكتابة؟ والكاتب الجزائري الذي يخاطب جمهورا عربيا بالدرجة الأولى يتوجب عليه ان يكتب ما يترجم أفكارهم أو رسالاتهم " بلغات ثلاث مختلفة ،توجد التجربة وتمنحها أبعادا عالمية وتفتقد اللغة الفرنسية صفتها الملعونة مادامت تتكشف أيضا عن قدراتها على نقل رسائل الحقيقة لصالح الأمة التي تنتظرها فلم يعد التعبير بالفرنسية مماثلا للخيانة أو مطابقا لحالة تخاذل أمام رجل الاحتلال"[2]

و أصبح شغل الأديب الشاغل مناقاة الرواية الكولونيالية التي صورت المجتمع من الخارج بمعنى أن هناك واقعا جزائريا عاشه هذا الروائي وصوره أصدق تصوير لشعبه وللمجتمعات الأخرى فصرّف بالجزائر من خلال روايته واكتسب أنصارا خارجها ومن ثم "اكتسب الروايات هذه الصفة النضالية التي تميزها عن الرواية الفرنسية لأبناء المعمرين أمثال "موباسان" و"جيد" و"كامو" التي تمتلك إطارا جزائريا لا غير"[3] ولكن لماذا صورت المجتمع الجزائري لمجتمعات أخرى؟

يمكن الجواب على هذا السؤال في كونها مكتوبة بلغة مجتمعات أخرى وليس بلغة مجتمعها وحتى تتمكن من عرض قضية الجزائر على الرأي العالمي والمكان الذي"يحدثنا عنه هذا الأدب هو مغرب آخر،ومغر الآخر،ومغرب للآخر ،إنه أشبه بالأسطورة لأنه كتب من أجل قارئ فرنسي"

-فصرف الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية قفزة نوعية بعد سنة 1945م وخرج عن إطاره التقليدي وأعاد صباغة بيئته الاجتماعية على نحو جعل أمانته للجزائر اكبر بكثير من الوقت الأقل وخصوصا بعدما أصبح هاجس كتاب تلك الفترة الرئيسي هو الثورة التحريرية بكل معانيها"وعرفت سنة 1948م خروجا عن هذا التقليد الذي سارت عليه الرواية المكتوبة بالفرنسية في الجزائر بصدور روايتي "إدريس" لعلي الحماسي و "لبيك" لمالك بن نبي ،وكلا الكاتبين كانا بعيدين عن الفكر الاندماجي"[4]

---

[1] - عايدة أديب بامية،المرجع السابق،ص142-143.

[2] - عز الدين المناصرة،المرجع السابق،ص375.

[3] - الأخضر الزاوي، المرجع السابق،ص 111.

[4] - أحمد منور،المرجع السابق،ص106.

شكل صدور رواية "ابن الفقير" توجها جديدا في مسار الروائي لكن الرواية في شكلها ومعاييرها الفنية المعروفة وظهرت في عام1950م مع ابن الفقير لمولود فرعون الذي توجه توجها أدبيا جديدا في المسار الروائي ومن ثم واصل المنتوج الروائي رويدا رويدا بصدور رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب 1952م التي شكلت منعطفا حاسما في تطور الأدب الروائي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية على مستوى المضمون"[1] ، إذ تجاوز محمد ديب الدعوة غلى الاندماج متحدثا عن روح المقاومة وعن المناضلين المطاردين من طرف البوليس وبدا موقفه واضحا من أكذوبة فرنسا أم الجزائريين من خلال موقف عمر الذي لم يعرف وطنا آخر غير بيته الكبير.

وما "الحريق" و"مهنة الحياكة إلا امتداد للدار الكبيرة، فقد تحدثت الأولى عن انتقال عمر من المدينة إلى القرية وكشفت عن مأساة الفلاحين اليومية التي أصبحت بادية للعيان بعدما تصاعد الوعي في القرى،وأولئك الفلاحون أولئك الذين سيعلنونها ثورة طبقية لا تنطفئ أبدا بل ستظل تحترق إنها تلك النار المتأججة.[2]

وتجسد رواية "الهضبة المنسية" لمولود معمري لوحة أخرى من لوحات الحرب التي فرقت الأصحاب وعزلت الأحباب عن الركن الدافئ الحبيب والهضبة المنسية هي في حد ذاتها "الجزائر التي تتخيل في نفس كل جزائري بعيد عن وطنه ذلك المكان العزيز في القلب والنفس"[3]

- ورمز مولود معمري في روايته "إغفاء العادل" إلى آمال الجزائريين الوهمية وثقتهم العمياء في فرنسا إضافة إلى أفق انتظارهم للحرية الموعودة فهي تعكس لدى القارئ وصفا لموقف فرنسا من الجزائر وموقف الجزائريين الموالين لها بعد أن تتكشف أمامهم حقيقة أوهامهم.[4]

- وها هو كاتب ياسين يسرد حب نجمة الجريح وأسطورة المرأة المتوحشة محاولا بذلك تحليل التناقض القائم بين ماضي الجزائر وحاضرها في رائعته الخالدة "نجمة" 1956 وقد تناول الكاتب أيضا في جانب من روايته مظاهرات 8 مايو1945 الصور وقائع القسوة والوحشية التي وقعت بها تلك المظاهرات"[5] إذ عايش كاتب ياسين معركة الجزائر وتبنى

[1] - المرجع نفسه،ص108.

[2] - سعاد محمد خضر،الأدب الجزائري المعاصر،منشورات المكتبة المصرية،بيروت ،لبنان،1967،ص157.

[3] - المرجع نفسه،ص173.

[4] - المرجع نفسه،ص 175.

[5] - أحمد منور ،المرجع السابق،ص 109.

قضيتها وأثبتت أن حجر الزاوية في عمله الروائي هو الوطنية ،وهو ذاته نجده يعترف بأنه ثوري وكاتب في آن واحد فهو يعتقد بان على الكاتب أن يتأصل في أمته على أن يبقى مبدعا ،وهذا هو مفهوم "كاتب ياسين للالتزام"[1]

ومنذ أحداث 8 ماي 1945 ،اتسع نطاق مفهوم الثورة ،وتنوعت مسالكها ،فلم تعد شعاراتها مجرد حبر على ورق ، وهذا ما دفع الكتاب إلى محاولة بذل مجهودات عظيمة في سبيل مساندتها وكلما كان الروائي متمكنا من التعبير عن الواقع كلما كانت تأليفه مستودعات للشعوب،أفكارها ،ثقافاتها وذخائرها الحربية ضد الاستعمار الكولونيالي بلغته المفروضة عليهم ،التي جعلوها ملكهم بما جسدوه فيها من مشاعر معادية للاستعمار ومناهضة له، مشاعر أدت إلى طرد الاستعمار الاستيطاني من بلادهم كما فعل أقرانهم على امتداد القارات التي احتلتها الكولونيالية القديمة."[2]

فبعدد الكلمات وقوتها تنتشر الأفكار بين الناس وبهذا يسهم الكاتب في نقل الأفكار ويختزن خبرة جيله، موظفا اللغة بالذات-الفرنسية- كسلاح من أسلحة المعركة ضد الثقافة الدخيلة مما جعل بعض الكتاب الفرنسيين يغتاظون من لغتهم التي أصبحت تستعمل ضدهم ،وبخاصة عند كاتب ياسين ومحمد ديب.[3]

- وترى سعاد محمد خضر أن ظهور الأدب الجزائري الديمقراطي المكتوب بالفرنسية قد بدأ منذ عام 1945 وتقدم قائمة بهؤلاء الكتاب الوطنيين الديمقراطيين ومنهم محمد ديب ،كاتب ياسين ،مولود فرعون ،مولود معمري، مالك حداد[4]، ولعل ما يكشف توحد الكتاب هو تضامنهم تحت شعار الالتزام هذا المصطلح الذي ينحاز إلى الإيديولوجية أوروبية تمثلها عدة مدارس تنص على التزام الأديب الذي يماثل التزام العامل المناضل.[5]

-إن قصص هذه المرحلة لم تغيب عن أذهانها حقيقة الدور الثوري الذي تضطلع به عموما والوعي الوطني المتنامي بإطراد على وجه الخصوص "بعد انتفاضة 1945م التي استطاعت ان تبلور الوعي الجماهيري وتعمقه لتدفع به أكثر إلى الأمام يضاف إلى ذلك الزخم الثوري لمختلف الانتفاضات عبر التاريخ الجزائري و على رأسها ثورة

---

[1] - عايدة أديب بامية، المرجع السابق،ص139.

[2] - جابر عصفور،المرجع السابق،ص 30.

[3] - يوسف الأطرش،المنظور الروائي عند محمد ديب،منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين ،2004،ص03.

[4] - عز الدين المناصرة،المرجع السابق،ص361.

[5] - عبد القادر بن سالم ،مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،2001،ص20.

الفلاحين"[1]،وتتبع أهمية ذلك الخطاب الأدبي -وهو خطاب تشكل المقاومة أحد مقوماته الرئيسية" التي كانت بحق الوجه الآخر للثقافة الجزائرية التقدمية المقومة استعماريا استطاعت من خلال كتابها القديرين "كتابة نشيد جديد يقيم حياة جديدة[...]ستجلب الفرج للجماهير مثل شمس صباحية تشرق على الجزائر"[2]

- وما مالك حداد إلا واحد من هؤلاء الذين حملوا على عاتقهم مسألة النضال ،وهو مطلب إلتزامي مثالي، إذا ما أصر المرء على تحقيقه أثبت بذلك بأنه ينشد الحد الأقصى من الحرية الأدبية التي ينطبق عليها تعبير الأدب الثوري أكثر من صفة أدب الثورة وذلك لكونه ثوريا في المضمون وفي الشكل فالكتابات التي ظهرت في ذلك حين كانت تعنى بصورة رئيسية بالأحداث السياسية التي كانت تهز الجزائر من الأعماق.[3]

ولم يتخلف حداد عن هذا الحدث المهم وعبر عنه بجدارة في أعماله الروائية التي تتقدمها رواية "الانطباع الأخير"المنطوية أحداثها على مسألة تدمير جسر أثناء فترة حرب التحرير هذا الجسر الذي خلق جوا مأساويا لدى المهندس الذي بناه "سعيد"،ووقف وقفة اليائس العاجز المتسلم للواقع و"وصف حداد مشاعر مهندس أخبر بأن الجسر بناه يجب أن يفوض لكي يمنع تحركات القوات المعادية"[4]

فلم يتأثر هذا المهندس بوت شقيقة المجاهد " بوزيد" بقدر تأثره بتدمير الجسر وما هذه الرواية إلا تجسيد لعواطف وانطباعات حداد إزاء حرب التحرير باعتباره واحدا من كتاب شمال إفريقيا، الذين أعطوا قوة للثقافة في وجوههم الجديدة ،وهم اقل اهتماما بالفحص الداخلي كما يفعل المؤلفون في فرنسا نفسها ولكنهم أقوى نبضا نحو التسامي البطولي.[5]

- تمثل رواية التلميذ والدرس « l'èlève et la leçon»1960مذروة الصراع بين الأجيال عقب الحرب العالمية الثانية ،سلط حداد الأضواء على عواطف أب كان يتأمل سلوك ابنته الفدائية ويفكر فيها بعد أن واجهته مواجهة صلبة ،معتمدا على أسلوب تيار الوعي وقد ساهم الموضوع في إدخال الرواية إلى دائرة الأدب العالمي".[6]

---

[1] - واسيني الاعرج،المرجع السابق،ص62.

[2] - المرجع نفسه،ص 29.

[3] - عايدة أديب بامية،المرجع السابق،ص 137.

[4] - المرجع نفسه،،ص 179.

[5] - حفناوي بعلي،المرجع السابق،ص199.

[6] - عايدة اديب بامية،المرجع السابق،ص 286.

-واجهت رواية "رصيف الأزهار لم يعد يجيب" « le Qian aux fleurs ne rèpond plus 1962م وجهة رومانسية إلى أبعد الحدود كانت الزوجة وردية محور حياة البطل الكاتب خالد بن طوبال ولم يلوي أي اهتمام لمصير وطنه بعد اندلاع حرب التحرير ولم يعد معنيا به إطلاقا بعد وفاة وردية الخائنة وهكذا تلاعب مالك حداد بالكلمات ليكبت الاضطراب والضيق الذي يشعر به وانفعالاته المكنونة في أعماق ذاته المنغلقة،لذا" يجعل أبطاله يعيشون ذلك القلق والتوتر ويعانون الحرب وآثارها ،مثل ما كان خالد بطل "رصيف الأزهار" يعاني الحرب"[1]

-انصب اهتمام الرأي العالمي فيما بعد على تأمل قضية الجزائر عبر قراءة عدد من نماذج الأدب الجزائري بالفرنسية أي تلك النصوص الروائية المهجوسة بالروح الثورية التي ساهم التيار الديمقراطي اليساري في إيصال صوتها إلى العالم بمعنى جعل القضية الجزائرية قضية عالمية في مجال الثقافة وبلغة العدو نفسه"[2]

- واستطاع جيل الخمسينات أن ينقل القارئ من أفق اليقين المستقر الهانئ لإلى أفق الشك "علما أن هذه الروايات لم تنشر في الجزائر وإنما نشرت في فرنسا ودور نشر معينة ومعروفة حيث وجدت تعاطفا معها من قبل مثقفي اليسار الفرنسي خاصة"[3] ومن ثم أصبح دور الكتابة الروائية سرد واقع الهزيمة المزرية التي فضحت فرنسا بما في ذلك نظرتها الواثقة "فموقف كتاب فرنسا إلى جانب ثورة الجزائر قد جاء نتيجة لما أحدثه أدب الجزائر في الرأي الأدبي والفكري فسارتر وآرنو وجان لويس بوري أحسوا بضرورة إنقاذ شرف فرنسا وإنهم خجلوا من كونهم فرنسيين نتيجة لما ترتكبه فرنسا من جرائم"[4]

- فترة ما بعد الاستقلال:

لم تتغير التجليات المضمونية للرواية الجزائرية بعد سنة 1962م ولا وظيفة الأدب بل تكرر الخطاب الثوري عبر كم كتابي هائل وأشهرت الأقلام ذات البعد النضالي والمواقف الملتزمة لآن الأرض المغربية ضحية لغزوات عديدة منذ قرون طويلة والغزو الذي غالبا ما يتكرر في الرواية المكتوبة بالفرنسية هو المتأخر زمنيا أي الغزو الفرنسي[5] ،وهذا يقيم استقرار على صعيد الرغبة في إعلان خصور الشخصية الروائية بتتويجها الواقعية

---

[1] - أحمد منور،المرجع السابق،ص 111.

[2] - عز الدين المناصرة ،المرجع السابق،ص363.

[3] - أحمد منور،المرجع السابق،ص110.

[4] - عبد العزيز شرف،المرجع السابق،ص 135.

[5] - جابر عصفور،المرجع السابق،ص 27.

والرمزية ،والتي أجبرت فريقا من الكتاب على احترام شكل قار وثابت،ووجد هؤلاء الكتاب أنفسهم منتسبين إلى الأشكال القديمة فلم يطيروها ولا خالفوا رؤيتها للعالم وأحسوا بالانتماء إلى الأفق نفسه كما حاولوا البحث عن معنى لحركية الحرب الحاضرة في مخيلتهم وكان من"نتيجة ذلك الكتابة بلغة الاستعمار بأنهم لا يكتبون أدبا فرنسيا وأن استعمالهم اللغة الفرنسية مجرد وسيلة تشبه استعمال الرسام لألوان صنعت في فرنسا و أي دولة أجنبية.

فلم يتجاوز الشكل السردي المنحاز الى وقائع حرب التحرير وعمليات المقاومة الفدائية مثلما هو الحال في رواية "الأفيون والعصا" 1965م لمولود معمري التي تتضمن تحليلا وافيا للسياسة الاستعمارية "ويبرز عنوان الكتاب ذاته ،السياسة الاستعمارية التي تبناها الاستعمار من أجل أن يدعم مكانته في الجزائر فهو يستعمل إما أسلوب العنف أي العصا وإما أسلوب الإغواء والدبلوماسية أي الأفيون"[1]

-بينما تتحول الحرب في رواية "من يذكر البحر" 1962م إلى مجرد اضطرابات وتصورات خيالية ووهمية فديب يقدم لنا قصته الجديدة"من يذكر البحر" في إطار جديد وأسلوب مغاير للمألوف ،ملئ بالرموز تدور أحداثها في مدينة خيالية يتهددها الدمار وتختلط فيها عوالم الوجود واللاوجود والموت فيها بالحياة "[2]

ونقوم رواية "أطفال العالم الجديد لآسيا جبار على أرضية حرب التحرير ومالها من ردود أفعال لدى جميع الفئات الجزائرية - وخصوصا-العنصر النسوي المتحرك بكل حرية في حيز هذه الرواية ،فالنساء "اللواتي كن حبيسات في ديارهن أثبتن أنهن قادرات على القيام بأعمال بطولية"[3]

وأثار انقلاب 19 جوان 1965 الذي قاده العقيد هواري بومدين ضد بن بلة نزعة احتجاجية لدى الكتاب ،اتخذت طابعا سياسيا نقديا يميل إلى عدد كبير من التحليلات والقراءات الانطباعية والنصوص السابرة المتفحصة ،تجمعت كلها في وعاء نقدي ضخم يهدف إلى إثارة الالتباس لدى القارئ وتأجيج نار قلقة،ويذّكرنا هذا الطابع النقي بأعمال ديب الروائية ،التي ظهرت في فترة ما بين 1968م-1973م " رقصة الملك" 1968م ،"إله في بلاد البرابرة " 1970 تحلل الأولى سلوك المقاتلة "عرفية" وخيبة أمل الشعب أمام الوعود التي لم تتحقق وتعالج الثانية واقع ،التذبذب السياسي بالجزائر.

---

[1] - عايدة أديب بامية،المرجع السابق،ص 265.

[2] - سعاد خضر،المرجع السابق،ص 262.

[3] - عايدة أديب بامية،المرجع السابق،ص 223.

-أما رواية مراد بربون "المؤذن1968م" فبمثابة عينة انتقادية لاذعة للدين تدور احداثها في فترة ما بعد الاستقلال تشتمل على أحداث سياسية وتاريخية غامضة و"يكثف الصفحات الأولى من الرواية جو من الغموض استعدادا لظهور المؤذن ذلك الشخص الغريب الذي يثير حوله الخلافات"[1]

ويهاجم "رشيد بوجدرة" في روايته "التطليق" 1969م السياسة الدينية المتحكمة في تسيير أمور البلاد ،مستعينا بقصة طلاق والده كخلفية رافضة للحكم " يعتبر "رشيد بوجدرة" من أحسن كتاب هذه المرحلة والممثل الأول للاتجاه الواقعي الاشتراكي والنقدي "[2]

وارتأى فريق ثان أن يتوقف فجأة عن التعبير باللغة الفرنسية لأن هذه الظاهرة ارتبطت بالاستعمار ونشطت إبان سيطرته على الجزائر والتصريحات التي أدلى بها هؤلاء تبرز حكتهم في الإلمام الواسع بقضايا الوطن طالما إبداعهم "ينطوي على ما يمكن تسميته بالهوية المزدوجة فهو إبداع يرتبط في أغلبه بالوطن العربي الذي ينتمي إليه هؤلاء الأدباء ويعبرون عن همومه ومشكلاته"[3]

وما لبثت أن أصبحت هذه اللغة الأجنبية مشكلة ثقافية فالخضوع "للحكم العثماني منذ سنة 1655م ثم للاستعمار سنة 1830 كان انتهى باللغة العربية إلى الإهمال والهوان ،فبعد سيادة اللغة التركية ثم الفرنسية في المعاملات الرسمية وفي الحياة الثقافية والمجتمعية انتهى استعمال العربية لدى الجزائريين إلى معنى الاستلاب الذي تجسد في انعدام الإحسان بالانتماء إلى اللغة الثقافة والعربية،وتبني الفرنسية وآدابها نموذجا يحتفي به ويشهر كعلامة تمدن"[4] وسببا في أزمة التواصل بين الأدباء والجمهور في ظل سياسة التعريب التي شهدتها الجزائر بعد الاستقلال.

وبناء على هذا تولد حاجز لغوي بين جيل تكون في المدارس الفرنسية وجيل فضل تمدرس اللغة الأصلية في مرحلة استرداد الوطنية وأثارت الرواية الجزائرية بالفرنسية جدلا كبيرا باعتبار مضامينها الفكرية والاجتماعية العربية ولغتها الفرنسية الغربية ،ثم إن الكتاب الذين كتبوا بلغة غير لغتهم الأصلية إما طواعية منهم أو لأسباب سياسية اضطرارية وقفوا عاجزين أمام هذا الوضع الجديد.

---

[1] - المرجع نفسه،ص 288.

[2] - عبد القادر توزان،المرجع السابق ،ص 47.

[3] -جابر عصفور،المرجع السابق،ص نص19.

[4] - يوسف ناوري،الشعر الحديث في المغرب العربي ،ج1 ،دار توبقال للنشر،المغرب،2006 ،ص97.

ولا يختلف الوضع كثيرا لدى مالك حداد ،الذي عانى ويلات مأساته المزدوجة "الاستعمارية واللغة "دارت معظم رواياته حول الثورة الجزائرية ،تلمسها من قريب ومن بعيد في دوامة من المشاعر والعواطف التي تبرر فيها تعقد الحياة والبساطة الأزلية اليومية ،بمعنى أن إستراتيجية الكتابة لديه هي نوع من الكفاح لإعادة القيمة المنكسرة المهزومة والمهمشة ،أنها كتابة تهدف إلى تحويل الهامش إلى المركز وهذا ما منعه من الاستمرار في الكتابة بعد الاستقلال ،وجعله يصاب بالإحباط واليأس الفني أو كما سماه "اليأس الفني " وسط واقع اجتماعي ذو منحى مغرق بالتعريب يتداخل فيه الدم الجزائري بالعرق العربي الأصيل وعلى أساس هذه البيانات اختار مالك حداد منذ الوهلة الأولى "المنفى" كمهاد يبذر فيه رموزه واختار أيضا جيل المنفى للتعبير عن المقاومة علما أن إبداعه برمته تزامن مع فترة الحرب إذ انه لم ينشر أي كتاب بعد الاستقلال.

وتعتبر الثورة ينبوع كاتب ياسين الذي لا ينضب كمصدر إلهام وهي حقيقة تطيع جل أعماله الأدبية كروائي معاصر بالفرنسية ولان باطن نصه يعني الوطن بكل أحداثه وتطوراته فقد كاتب ياسين القدرة على التعبير باللغة الفرنسية حينما واجه مشكلة الازدواج الثقافي وعاش فترة نفور من اللغة الفرنسية جعلته يبحث عن هويته و شخصيته الجزائرية "وتبقى مشكلة بعد ذلك نرى حلها ميسورا وهي التي تخلق الأزمة التي يعاني منها كاتب ياسين ،وهي مشكلة الاتصال بالجمهور الذي يقرأ اللغة العربية وحلها لن يتأتى إلا بترجمة أعمالهم كلها ،ترجمة دقيقة تحافظ على نصاعة لغتهم" ولذلك السبب انحاز كاتب ياسين إلى الكتابة باللغة العربية الدارجة التي تساعده على الاقتراب من عامة الناس ومن طبقة العمال البسيطة[1].

لكنه يناقض نفسه عليه وهكذا تعتمد ثنائية المقارنة –حسبه- كتابين أو كاتبين أو طائفتين من الكتاب أو الكتب أو حتى أدبين كاملين.

- أما مفهوم الأدب المقارن وفق منظور غويار فهو "تاريخ العلاقات الأدبية الدولية فالباحث المقارن يقف عند الحدود اللغوية أو الوطنية ،ويراقب تبادل المواضيع والأفكار والكتب والمشاعر بين أدبين أو أكثر"[2]، وغويار ينطلق عمليا و يتجول في آداب أوروبا ويعيد الفضل في تشكل الأدب المقارن إلى عصر النهضة ،والمعلوم أن القرن الثامن عشر هو عصر الفلسفة وأوروبا الفرنسية، وإن كان يعتبر النهضة الفعلية لتشكل الوعي الكوزموبوليتي هي العصور الوسطى الموحدة بالدين المسيحي واللغة اللاتينية ،فهو يتفق كثيرا مع بول فات يغم حول قضية التأثير والتأثر ،ولكن يختلف عنه في أساليب التعبير عن أشكال التأثير والتأثر وأنواعه ،حيث أن الأسلوب من أسرع العناصر تناضلا عند بول فان تيغم، أما غويار فيحصر

[1] -عبد العزيز شرف ،المرجع السابق ،ص163.

[2] - عز الدين المناصرة ،النقد المقارن(منظور جدلي تفكيكي) ،ط1،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان،الأردن،2005،ص112.

التأثيرات الأجنبية في فرنسا في حيز تأثيرات إنجليزية ،ألمانية ،إيطالية،إسبانية ،إلا انه في مقابل هذا التأسيس المنهجي الفرنسي –الذي يدرس العلاقات بين الآداب أو ما أصبح يعرف بالأدب المقارن ،بدأت تظهر وجهة نظر تنفي بعض مضامينه، ولعل أهم من مثل هذه المعارضة في بداية الأمر هو الفرنسي رينيه ايتيامبل الذي وجه النقد اللاذع لفكرة المركزية الفرنسية وانغلاقها:" من يتجرأ على منع البانكين من أن يعطوا لأدبهم القومي نفس الاتجاه الذي سار فيه غويار ومن يقدر إذن على منع العرب أو المسلمين من اعتبار لغتهم هي لغة الله ،ومن ثم يطالب بقيادة أدبهم إلى المتفرد بهذه الميزة،لكل الآداب ولماذا لا تصر الصين ،باعتبارها دولة المليار نسمة ودولة الحضارة العريقة على نفس الاتجاه المحوري"[1] وكان أول مقارن فرنسي يطالب بتعددية المقارنة لتصبح عالمية ،وأنصف ثلاث قارات، لم تكن تقع دائرة المركزية الأوربية :آسيا ،إفريقيا وأمريكا اللاتينية،وارتأى ان أول ما يجب أن يتخلق به المقارن هو الانسلاخ عن كل إقليمية أو مركزية.

- المتباعدة التي تفصل بين اللغات المختلفة، فلا تقف أهميته عند حدود دراسة التأثيرات في الأدب القومي الواحد، بل إنه يكشف عن جوانب تأثر الأدب القومي بالآداب العالمية ،لأنه يستبعد الموازنات الجارية داخل الأدب القومي الواحد ،سواء وجدت بين النصوص علاقات تاريخية أم لا "فالموازنة بين أبي تمام والبحتري أو بين حافظ وشوقي في الأدب العربي وكذا موازنة بين كورني و راسين أو بين باسكال Pascal وموتينيMontaigne أو بين راسين وفولتير في الأدب الفرنسي ،يتخلى عنها مؤرخ الأدب المقارن إلى مؤرخ الأدب القومي"[2] ومهما تكتسي مقارنات الأدب القومي من أهمية إلا أنها تبقى اقل نفعا وأضيق مجالا من الدراسة المقارنة وكثيرا ما تكتفي تلك الموازنات بسرد الدراسات التقليدية،وعلى عكس الآداب القومية باعتبارها أجزاء من الأدب العالمي.

- وقبل ان يكتمل مفهوم الأدب المقارن ويستقل وجوده كعلم قائم بذاته ،كان الباحثون يخلطون بين مستواه التنظيري وميدانه المنهجي، لذا يجب علينا أن نتقصى من شأنه في أوروبا وان نتبع مراحل تطوره ،لنبين كيف استقر على مفهومه الراهن فيعرفه-مثلا- بول فان تيغم بانه: اليوناني واللاتيني ،احدهما بالآخر،وما تدين به الآداب الحديثة منذ العصور الوسطى للآداب القديمة تنم العلاقات بين الآداب الحديثة المعاصرة"[3] وينطلق في تعريفه هذا من مهج ثنائية المقارنة بين أدبين مؤكد مبدأ المركزية الفرنسية أولا، ثم المركزية الأوروبية ثانيا أثناء تطرقه لمسالة الحدود اللغوية ،لأنها الفاصل في إجراء المقارنة فيشير إلى أن

[1] - المرجع نفسه،ص 121.

[2] -عز الدين المناصرة ،الرمجع السابق ،ص 112.

[3] -المرجع نفسه،ص 108.

الألمان يدرجون الكتاب النمساويون والسويسريين في عداد الكتاب الألمان ،إذ يقول "أما نحن في فرنسا ،فإننا نستحي أن ننسب إلينا من ليس منا"[1]

- الأدب الجزائري والتأثير الفرنسي:

أ)مصطلحات ومفاهيم:

1) الأدب المقارن:

اتسم الأدب المقارن بجملة من الإضمارات والالتباسات على مستوى مفهومه وتوجهاته المنهجية ،تنم في مجملها عن اقتحامه لمجال تاريخ الأدب واتصاله بالنقد الحديث ف"لا يعد من الأدب المقارن في شيء ما يعقد من موازانات بين كتاب من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعا من التأثير أو يتأثر به"[2] بمعنى انه لا يصح عقد مقارنة بين أدبين لمجرد تصور تنظيري ،يحيل إلى تشابه آرائها أو ظروفهما لان مبتغى الأدب المقارن هو شرح حقائق والصلات من جهة تاريخية وكيفية انتقالها من لغة إلى أخرى ،وما الذي احتفظت به هذه الحقائق بانتقالها إلى أدب آخر وما مكتسباتها الخاصة من عملية الانتقال.

وبناءا على ما تقدم ،كان من الممكن أن يسمى هذا الميدان ب"التاريخ المقارن للآداب أو تاريخ الآداب المقارن ولكنه اشتهر باسم الأدب المقارن وهي تسمية ناقصة في مدلولها ،لكن إيجازها سهل تناولها فغلبت على كل تسمية أخرى "[3]وربما يعود السبب في ذلك إلى أن كبار كتاب أوروبا اقترحوا أسماء عديدة للأدب المقارن طوال القرن 19م الناقد الفرنسي الكبير سانت بيف عام 1968م والحق أن مدلول الأدب المقارن تاريخي محض لأنه يدرس المواطن المشتركة بين الأدباء في لغاتها المختلفة وصلاتها التاريخية المرتبطة بحاضرها او ماضيها ،وما للصلات التاريخية من صدى في تشكل التأثير والتأثر اللذان يثبتان وجود توجهات إنسانية وحس مشترك ،يمثل الخيط الرابط بين الفضاءات الجغرافية وقدرات الإبداع وبهذا الشكل فتحت المعارضة الفرنسية آفاقا جديدة للفكر الأدبي المقارن الذي انطلقت شرارته الأولى على أيدي الأمريكيين -رينيه ويليك وهنري ريماك -وقد رفضا أولا المفهوم الضيق للأدب المقارن وراحا يطالبان منذ خمسينات القرن الماضي بتوسيع المفهوم ليمثل كذلك دراسة العلاقات بين الأدب ومجالات أخرى،منها العلوم والفنون والفلسفة

---

[1] - المرجع نفسه ،ص 108.

[2] - محمد غنيمي هلال،الأدب المقارن،ط1 ،دار العودة،بيروت ،لبنان،1983،ص11.

[3] -محمد غنيمي هلال،المرجع السابق،ص 10.

،العلوم الاجتماعية ،الرسم ،العمارة ،النحت والموسيقى...إلخ ولذلك وصف رينيه ويليك مصطلح الأدب المقارن قائلا :"أن اصطلاح الأدب المقارن منصب ولا شك فعلا ،في أنه أحد الأسباب التي جعلت هذا النمط إلهام من الدراسة الأدبية يلاقي من النجاح الأكاديمي أقل مما كان متوقعا له" [1]ومن ثم كانت طروحاته النظرية تعمد إلى إقامة مصطلحات بديلة ،تعكس روح الاختلاف بين المفهومين -الفرنسي والأمريكي- حول طبيعة المنهج ورؤيته في تقييم العلاقات وتقيمها بين الآداب المختلفة إذ يقول:"أوضح تعريف للأدب المقارن ،هو ذلك المستمد من منظور الأدب المقارن وروجيه وليس من مصطنع له داخل عالم الأدب فهو يدرس الأدب كله من منظور عالمي ومن خلال الوعي بوحدة كل التجارب الأدبية والعمليات الخلاقة وبذلك يكون الأدب المقارن"وهذا ما أؤمن به أنا" هو الدراسة الأدبية المستقلة عند الحدود اللغوية والعنصرية والسياسية،ولا يمكن حصر الأدب المقارن بمنهج واحد فالوصف والتشخيص والرواية والتقويم عنصر لا تقل أهمية عن المقارنة فيه،كذلك لا تنحصر المقارنة في الصلات التاريخية الفعلية "[2]،ولعل التعريف الذي اعتمده ويلك يطالب بعدم حصر جهد الأدب المقارن في تاريخ الأدب فقط ،وبعدم استبعاد النقد والأدب الحديث والمعاصر وان يعاد النظر في تاريخ الأدب بوصفه تركيبا يعلو فوق القوميات ،ولا يتأثر بالمشاعر والعواطف المحلية ،بل يجب أن يدرس الأدب المقارن على أنه كل وواحد على المستوى الفني.

والحقيقة أن ويلك أسس اتجاها أمريكيا صرفا بفضل تلك الدعوة ،فلا يرى المقارنات أي حدود أو فواصل ثقافية ،ويدمج في الأدب المقارن علاقات الأدب بكافة الفنون والمعارف ،وبذلك أصبح التأسيس التراثي للأدب المقارن لمتسيدي الاتجاه الأمريكي الجديد وهو للأسف الشديد لا يخلو من بعد عنصري خفي، والممثل في إيمان ويلك الشديد بمركزية الأدب الأوروبي ،ووحدة الثقافة الغربية ،وحيوية الموروث الكلاسيكي والإغريقي ،الروماني والمسيحي الأوروبي الوسيط ،وتجاهله الشديد لكل النتاج الثقافي والمعرفي والأدبي الصادر عن ثقافات غير أوروبية ،فلا غرابة إذن في اعتراض هنري ريماك -وهو أكثر المقارنين الأمريكيين اعتدالا وأقلهم تطرفا في الهجوم على الاتجاه الوضعي الفرنسي- على هذا المنظور،واندفاعه الى نزعة التغيير في مطلع الستينات ،مقدما شهادته الواقعية حول أهم عيوب الاتجاه الأمريكي ومشكلات المقارنين المعاصرين :التي ستؤدي إلى زوال الأدب المقارن من خريطة الإنسانيات في الولايات المتحدة :"في حالة غياب أو فقد نقاط التحقق...فليس من المستهجن أن يكون مبرر وجودنا الأكاديمي-لاسيما في الولايات المتحدة -مشككا فيه بصورة مرعبة لقد أدى هذا الغياب فعلا إلى إزالة أو طمس للأدب المقارن في

[1] - أحمد ياسين،محاضرات في الأدب المقارن،المركز القومي للنشر، أريد ،الأردن،2007،ص22.

[2] - محمد مدني ،مستقبل الأدب المقارن في ظل العولمة،دار الهدى للنضر والتوزيع المنبأ- مصر،2001،ص79.

أقسام الأدب الانجليزي وفي أقسام علم الاتصالات أحادية اللغة وغير الأدبية بصورة متزايدة،والمشبوهة عند تقسيمها.

-إن الابتعاد عن المركز يسيطر على جدول الأعمال وهذا الإضعاف للمركز توازيه الأعراض المتزامنة والجارية من حيث تقليص أعضاء هيئة التدريس ...ولجعل الأمور أسوأ ،فإن هذه الأغراض الراهنة تتغذى على ضعف المركز وهي تغذي إضعافه في الوقت ذاته[1] ،وهو ما يرمي ضمن ما يرمي إليه مشكلات وقضايا يخلقها الاتجاه الأمريكي من خلال تهميشه إلى الثقافات الفقيرة اقتصاديا والمعزولة والمهمشة سياسيا على الرغم من تراثها الثقافي والأدبي وتاريخها العريق في صنع تاريخ الحضارة.

2) التأثيرات الأدبية:

- تبنّى الأدب المقارن دراسات "التأثير والتأثر" محورا لأطروحاته النظرية التي كلّها بالانسياب إلى دراسة العلاقة الأدبية ومسائل التأثير والتأثر،واستنفذ في ذلك الجزء الأعظم من الجهود التطبيقية في رصد ما هو تاريخي واستقراء ما هو جغرافي من زاوية تقديس الآداب الأوروبية ،وتمييز الآداب القومية ،أو الترويج للاستقبال والتلقي ومن ثم صح اعتبار مصطلح التاثير من اكثر المفاهيم تناول،ووافرها حظا في الدرس المقارن"فدراسة تأثير اليوت في الشعر العربي المعاصر-مثلا- تعني أن ندرس ما ترجم من أعماله إلى اللغة العربية ،وأعمال مقلديه ،والصلات الشخصية بينه وبين من فلدوه،إن وجدت،وما وجه إليه من نقد والدراسات التي نشرت عنه في العالم أي ان تأثيره يساوي مجموعة العلاقات المباشرة بينه وبين الأدب العربي"[2]،وهذا المفهوم الاصطلاحي يختزل في توالي الاستقبال عن طريق الاطلاع على أعمال اليوت،أو الاحتكاك به شخصيا وتقليده ،وكلما عوامل تعنى بفتح عرض أمام إمكانيات المتلقي العربي المكنونة في أعماقه لكي تنشا وتتكون ،وتأخذ طريقه غلى الظهور ،وفيما يتصل بهذا يمكن أن تفترض ان التأثير معادلة مقارنة ،يتربع على طرفيها مرسل ومتلقي ،ويمكن "أن نعتبر المرسل أصلا في حالات الترجمة ،ونموذجا في حالات التقليد ومصدرا في حالات التأثير وفي الطرف المقابل تأخذ الترجمة والتقليد اسمهما الخاص بهما عند المتلقي على حين أن العمل المتأثر ليس له اسم خاص يمكن ان يعرف به أو يشير إليه"[3]،وذلك التجرد الدائم في العلاقات الإنسانية والحضارية بين المرسل والمتلقي وسعة الأخذ والعطاء وانتقال الأفكار والإبداعات عن طريق إعادة صوغها أو النظر إليها بنظرة شعب من الشعوب ،يحدث نوع من التقارب والانجذاب لأثر من الآثار

[1] - محمد مدني،المرجع السابق،ص 84.

[2] - الطّاهر أحمد مكي،الأدب المقارن أصوله وتطوره،ومناهجه،مكتبة الآداب ،القاهرة،مصر،2002،ص 269.

[3] - المرجع نفسه،ص 271.

ومثال ذلك اثر "ألف ليلة وليلة "على قصة زديك لفولتير ،او على المسرح الفرنسي في القرن الثامن عشر وكذلك أثر "مجنون ليلى "في الأدب الفارسي.

أو تأثير القصة الفلسفية "حي بن يقظان" للفيلسوف الأندلسي إبن طفيل على قصة روبنسون كروزي "للكاتب دانييل ديفوري ،وبكل تلك المقارنات تسمى ثنائيات وكل ثنائية تقود الدارس المقارن إلى اكتشاف عناصر داخلية ذات الصلة ولا يمكن تفسيرها سوى بتأثير الأدب الملقي بالأدب المرسل" ومنذ أيام بول فان تيغم...نال الكاتب أو البلد المنتج اسم المرسل ،والكاتب أو البلد المستهلك اسم المتلقي،وأن نمنح أعمالا أو أفكارا إلى أجانب هذا يتطلب منا أولا أن نتفاهم".[1]

- وفيما يتعلق بطريقة الانتقال ،يجب أن نضع في الحسبان إما إمكانية انتقال مباشر ،من مؤلف إلى مؤلف بواسطة الاتصال ،العلاقة الشخصية ،التراسل والقراءة ،وإما انتقال غير مباشر يستحسن فيه توفر وثيقة أدبية أو وسيط من أي لون او انتقال ثالث مبهم وفي هذه الحالة تعالج الأفكار الملتقطة من طرف المتلقي خارج نطاق العلاقات المباشرة وغير المباشرة.من مصادر غير محددة ويسجل تحديدها أو لأن الدارس بصدد إضافات جماعية ،أو أفكار مشاعة وهنا يفترض وجود موجة أدبية أو مناخ سائد وضاغط ،يدفع المؤلف إلى هذا الطريق.إذ "يبقى الميل والإعجاب والاستغاسة ما يحدد قبول الأدب أو رفضه أو إهماله لدى امة من الأمم"[2]

وليس من حق الأديب من أي امة يعزل نفسه عن بيئته وعن العالم الذي يحيط به ،لأنه من المفيد التذكير بتسرب الأفكار من خلال وجود قضايا متداخلة ،تنم عن اتصال خاص ،فالنص ظاهرة أدبية معقدة تكسوها علائق داخلية وأخرى خارجية،أما العلائق الخارجية فتتمثل في اتصاله بالأدب الأخرى وهي ملازمة للأديب ،لأنه نتاج إنساني فاعل ومتفاعل مع الآداب الأخرى ومتلاقح مع كبرى التيارات الأدبية والفكرية والفنية.

يؤثر ويتأثر بها ،غير أن أشكال التأثيرات متفاوتة بشكل كبير لأنها يمكن أن تمس بنيته الشكلية أو بنيته الداخلية من شخصيات أو مضمون.

---

[1] - بيربرونيل،كلود بيشوا، أندريه ميشال روسو، ما الأدب المقارن ،تر:غسان السيد ،منشورات دار علاء الدين،دمشق ،سوريا،ص33.

[2] - سالم المعوش،الأدب وحوار الحضارات،ط1،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان ،2007،ص56.

* Mésologie: دراسة التأثيرات المتبادلة للأوساط والأعضاء التي تعيش فيها.

وتجدر الإشارة إلى أن دراسة التأثيرات المتبادلة بين الآداب ،توجه اهتماما خاصا بالخارج ومعرفة الثقافات الأجنبية ومختلف الاتصالات واللقاءات والعلاقات بين الكتاب والتداخل بين الكتابات والاكتشافات المشتركة "أطلق بول فان تيغم على هذا البحث اسم Mésologie Mesos*الذي يبقى في الوسط"[1]ومقصوده هنا هو أن فائدة المحادثات والكلام المتبادل والصداقات بين الأدباء تستند -عموما- على قيام بعض الكتاب بترويج التأثيرات الأدبية على مستوى البنيات التركيبية المكونة للأثر الأدبي،سواء المؤثرات الفكرية العامة او التجربة الإنسانية السائدة في حقبة زمنية معينة ،فيعين هؤلاء الكتاب الدارس المقارن على استقراء الصلات التاريخية والأسباب المسببات وهذه الرؤيا عززت الروح القومية عند مختلف الشعوب ،فقد "اخذ كل عرف يبحث عما يخصه ويفسر المشترك مع الآخر من خلال التأثر والتأثير الذي يتم عن طريق الشرط التاريخي ،أو ما أصبح يسميه الأدب المقارن الوسيط"[2]،وتمثلت تلك الرؤيا كل الظروف الثقافية والمعرفية والفلسفية التي تشكل كل التمايزات الأدبية ،ووضحت أن أصل فكرة التاريخية القائمة على تكريس الذات ،هي التي أوجدت أولا التاريخ الأدبي للأمم،ومن ثم أوجدت فكرة التمايز الذاتي عن الآخر ،ومعرفة أثر الذات فيه وهو بدوره تجسد جليا في "الأدب المقارن"،وإذا ما أمعنا النظر في هذه العلاقة ،فإننا سنجدها في جانب من جوانبها علاقة تراتبية ،بمعنى أن بناء التاريخ الأدبي لأمة والوقوف عليه وقوفا معرفيا تمحيصيا ،هو الذي يؤطر الدراسات المقارنة بين هذا الأدب وبين غيره من الآداب ،ومن"جملة التأثيرات يتألف موضوع خاص غنه لا يحاول إطلاقا الحلول محل التواريخ الأدبية لقومية المختلفة :إنه يتممها ويجمعها وفي الوقت ذاته ينسج فيما بينها وعلى مستوى أرفع منها خيوط تاريخ أدبي أسمى واعم:هذا النظام الجديد موجود وقائم ويدعى الأدب المقارن"[3]،وكأنه يصبح هنا مرحلة لائقة للتاريخ الأدبي القومي ،فيوثقه ليس على المستوى الذاتي ،وإنما على المستوى الآخر والعلاقة معه وبشيء بالقيم الذاتية التي انتشرت في مساحة هذا الآخر.

ب) حدود التأثير:

1) المرسل:

لا ريب في ان فكرة التبادل الأدبي تعود إلى أزمان موغلة في القدم ،وهي تنمو وتتطور وفق مقومات خاصة تعود إلى حقبة التبادل والتعاون ،وقد شهدت أنواعا من التعامل البشري عولت على منطق الحروب والتوسع وجب السيطرة وعلى ما يسمى بالاستعمار

---

[1] - بيربونيل،كلود بيشوا،أندريه روسو،المرجع السابق،ص 37.

[2] - أحمد ياسين ،المرجع السابق،ص 10

[3] - المرجع نفسه،ص 73.

،وكم من احتلال تأثر بثقافة المغلوب ولم يؤثر فيه كما هو الأمر عند اليونان والرومان وكم من غزاة رضوا ثقافتهم ومعارفهم على المغلوب ،لأن هذا الأخير كثيرا ما يتأثر بالغالب فيقتبس منه ،وهذا الاقتباس يحدده الكاتب أو الشاعر أو الأديب أو المفكر المتلقي وفق كيفية خاصة تعود إليه أولا،و إلى مدى قناعته بجدوى الأثر ،بحكم أن الاقتباس هو الأخذ عن الآخرين"[1]،وهو نوع من الحوار الحضاري الذي يعتمد مبدأ ان الثقافة ملك الجميع ،تنتقل من حيز إلى آخر كرد فعل إيديولوجي يبرر وضعية أدب من الآداب المستقبلة،هذه الوضعية الذي يتوجه فيها الشرق -مثلا- إلى الغرب ليقتبس منه،الشرق ،الغرب ثنائية تأثير وتأثر.

- والحق أن حلقتي الإرسال والاستقبال متكاملتان في عملهما ،لا يوجد بينهما قطيعة معرفية او تفاوت آلي ينشط جاهدا هما دون الآخر ف"كل غياب لطرف يسبب خللا في فعالية التأثير الذي لا يمكن ان يكون مجرد حقنة صالحة لكل عصر وفضاء ،لضرورة توفر شروط ذاتية وموضعية الاستقبال والإرسال"[2]،بحكم ان التاثير والتأثر حركة انطلوجية تتمحور حول آليات الأخذ والعطاء للإنتاج وإعادة الإنتاج،أو الاستنساخ والإبداع،فلا عجب أن يكون التقليد نتيجة حتمية للتأثير لما يحس الشاعر أو الناثر بنقص في عمله الأدبي ومن ثم يبحث عن التقليد كوسيلة لتحقيق غايته المنشودة بتكييفه وفق ذوقه وحدوده العرفية السائدة والطرف الأول في عملية التأثير هو"المرسل يمكن أن يكون مؤلفا،أو نوعا أدبيا او موضة أو عصرا وحتى أدبا بأكمله"[3] ،وبشكل أرضية خصبة لتوسيع التأشير ،ويخلق قاعدة مادية ومعنوية لانطلاق التأثر- وهو في قيد التشكل- ولنا في مثال "ألف ليلة وليلة"الدليل على الإرسال والانتقال إلى معظم البلدان الأوروبية ،إذ تأثر كتاب العالم بموضوعاتها وأجوائها الشرقية منذ العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة ،فأصبحت مرسلا ومعينا يستقون منه الأفكار وخيالات لا حدود لها إلى درجة "أن فيلسوفا ومفكرا مثل فولتير قرأ كتاب خمس عشرة مرة،حيث انطبعت قصصه في ذاكرته "[4]،كما تأثر بها أيضا ماري كريستف فلن- وهو شاعر ألماني آخر- من عصر التنوير ونظم قصيدة قصصية بعنوان "حكاية الشتاء" واعترف انه اقتبسها من حكاية الصياد والعفريت "من ألف ليلة وليلة"

---

1 - سالم المعوش ،المرجع السابق،ص80.

2 - سعيد علوش،إشكالية التيارات والتأثيرات في الوطن العربي،ط1،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب1986 ،ص124.

3 - الطاهر أحمد مكي،المرجع السابق،ص 271.

4 - سالم المعوش،المرجع السابق،ص 92.

- التأثير الفني:

لكل شعب من الشعوب أسلوبه الخاص في الحياة ،ينعكس على مجمل هيئته الحضارية ،ويدخل في شتى ميادينها العملية والاجتماعية والسياسية والفكرية ،والثقافية ،فيشمل العادات والتقاليد والخصوصيات والمحليات والتاريخ والآمال المشتركة فعندما نقرأ الشعر الياباني نجده يميل إلى تقصير القصائد حتى لتبدو أقل من مقطوعات بمفهوم الشعر عند أمم أخرى و"هذا الأسلوب الشديد التركيز والايجاز في الشعر عند اليابانيين ،ينقلب إلى تطويل وإطناب في النثر ،لاسيما القصة حيث نراها تمتد إلى ثلاثين جزءا أحيانا ،كما هو الأمر في قصة دونو جازاري"ثرثرة قور حول حنجي" لمؤلفها مورانكي نوتسيكيو سنة2001م[1] ،وهذا أن دلّ على شيء فإنما يدل على طبيعة الحياة اليابانية،التي جعلت من الشعر وقفة سريعة أمام حدث من الأحداث أو مشهد من المشاهد وعلى عكس القصص التي تتعقب الظواهر من بدايتها إلى نهايتها ،وهو ما لا نجده في الآداب العالمية الأخرى إذ ترى الكتابة الأمريكية أديث هاملتون -الألمانية الأصل - أن الأسلوب الأدبي لا يمكن إلا جزاءا من طريقة الحياة العامة لشعب من الشعوب.[2]

كما ترى أن البعض يعتقد بأن الأسلوب هو الرجل بينما يعتقد آخرون أن الأسلوب يخضع للتقليد الأدبي أكثر مما يخضع لطريقة الحياة الواقعية،معنى ذلك أنه في حالة التبادل الأدبي بين أدبيين ،يتم نقل الأساليب ويفتح مجالا واسعا أمام التلاقح الأبي الفني ،فيسعف الأدب المرسل الأدب المتلقي.

- وكثيرا ما نجد تبادلا أدبيا بين الأدبيين العربي والفرنسي،ذلك أن هناك تشابها بين الكاتب المصري محمد حسين هيكل الذي يؤرخ له بميلاد أول رواية عربية -رواية زينب - والكاتب "جان جاك روسو" الفرنسي في روايته"La nouvelle Hèlose" إذ ترسم أبعاد التأثر لدى رائد حركة التنوير المصرية والذي ساهم رفقة شلة من جيله في حركة الإصلاح الاجتماعي في بعث نهضة ثقافية امتدت لتشمل الوطن العربي كله،بصدى الإستفاد من الفكر الفلسفي الروسوي ،وأدواته الفنية ليبني نصوصه ويركبها ،فكر من "مقابسات اتخذت الهيكلة الجزئية لبعض النصوص وكم من المقابسات التي استعارت الأجواء الوجدانية فانقلب أسلوبها من حال إلى حال تبعا للموضوع المقتبس[3]،ومن المعروف أن محمد حسين هيكل تلقي تقنيات السرد القصصي الروسوي بصدر رحب.

---

[1] - المرجع نفسه،ص 87.

[2] - المرجع نفسه،ص 88.

[3] - سالم المعوش،المرجع السابق،ص 92.

وسار على دربها من خلال محاكاته الأسلوب روسو الفني ،سواء على المستوى الأحداث الروائية والاستطراد-الزمان والمكان- أو على مستوى اللغة الروائية الواصفة والحوار والشخصيات وهي التقنيات التي كانت تعد جديدة على أدبنا العربي،ولا سيما توظيف الطبيعة ومعالمها والغلو في وصفها.

التأثير الفكري:

- إن الطموح الأدبي يعول دائما على التكيف مع الجديد بتكيف عمليات الأخذ والعطاء ،وتفعيل مختلف التبادلات الأدبية بغية تجاوز نمطية الموضوعات المكررة " ويمكننا أن نجمع تحت عنوان" التبادلات الأدبية العالمية" ،تلك الوسائط التي تنقل الأفكار والمضامين الأدبية من أمة إلى أخرى ،وكذلك النصوص والصور والأعمال الكاملة أو المجزاة ،ومن جهة أخرى الموضوعات نفسها التي تتبادلها الأمم فيما بينها[1]،فالأعمال العظيمة مثل الكوميديا الإلهية أو دو كيشوت ،هي موسوعات تصلح ان تكون نماذج يحتذي بها،فيستمد منها هذا الموضوع أو ذاك، ومن ثم تنتقل هذه النماذج من صورتها الضيقة إلى صورتها الواسعة من خلال استقبالها وإعادة استخدامها بما يتناسب وتاريخ الأفكار ،أو عقيدة عصر معين او أدب محدد ،وبذلك تخدم الموضوعاتية تاريخ المشاعر والعقليات ،لأنها تسمح بفهم كيف يمكن التعبير عن خيال معين في الزمن،وعبر أشكال أدبية محددة وضمن فضاء معين" ولهذا السبب اخترق نموذج القاتل المثالي لشكسبير عالم دوستوفسكي الأدبي،فهو يمتلك شخصية جذابة وجسما إنسانيا ويجسد علاقة الكائن ببيئته وبالآخرين ،ويكشف عما يحيط بالإنسان من عوامل لا يستسلم لها ،بل يحاول تغييرها من أجل أن يعيش المثل الأعلى في حياته ،ويحاول الدفاع عنها بارتكابه جريمة القتل،إنه يختزل بصفاته المتعددة الإنسان في أي زمان أو أي مكان ،فيقدم لنا نمطا سلوكيا يتميز بالتفرد من جهة وبالعمومية من جهة أخرى ،إذ يستطيعان يشمل معاناة الإنسان ومخاوفه الخالدة ،وقد تناول شكسبير شخصية القاتل الشريف في مسرحية عطيل ،تم رسمها دوستوبفسكي في روايته الجريمة والعقاب ،وهذا التشابه بين الشخصيتين نابع من تماثل التوجه الفكري والإنسان لكلا الكاتبين .

-تجري أحداث مسرحية عطيل في إيطاليا،ثم تنتقل إلى قبرص بانتقال الجيش وقادته لمقاتلة الجيش العثماني وعطيل قائد نبيل ،وهو زنجي ،ينتمي إلى إفريقيا ،أعجبت به فتاة إيطالية دزريمونة ابنة أحد أعيان مدينة البندقية المشهورين،فيتزوجها عطيل على الرغم من فارق السن والعرق والمكانة الاجتماعية،ثم تتم ترقيته كقائد عام للجيش ويعين كاسيو ملازمه الخاص ، كل هذا يثير حقيقة ياغو حامل العلم الذي يسيطر عليه الغبن ويحسب أن الحياة لم تعطه ما لا يستحق ،لأنه لم يحصل على المرتبة العليا التي احتلها عطيل ،ومن ثم كاسيو

[1] - دانييل هانري بابو،الأدب العام والمقارن،تر: غسان السيد ،منشورات إتحاد الكتاب العرب سوريا،1998،ص 87-88.

،فيدبر مكيدة لكاسيو يستغل نقطة ضعفه أمام الشراب يفقده وعيه ،إذ يتشاجر مع احد الجنود ويجرحه ثم ياتي ياغو خفية ويقتله.

- التأثير الشخصي:

- إن عملية التأثير تتوقف على دوافع اختيار واقتباس الأدب المتلقي المتأثر عند محاولته الإفادة من الأدب المرسل المؤثر،إذ انّ" علاقة المتأثر أو المحاكي -في هذه الحالة - ليست علاقة التابع بالمتبوع ،ولا علاقة الخاضع المسود بسيده ،بل علاقة المهتدي بنماذج فنية أو فكرية يطبعها بطبعه ،ويضفي عليها صيغة قوميته [1]،لأن المتلقي يرى في الأدب الآخر ما لم يألفه ،ويدخله هذا الباب التأثير الشخصي القائم على الجو الفكري ومكونات المرسل الثقافية والواقعية والقريبة من الحقيقة ،وهذا لا يستلزم مجرد تمثل الوعاء الفني للآخر وإنما يتطلب اللجوء إلى استيراد الشخصية الروحية للكاتب ويشمل ذلك رؤاه تجاه العالم والإنسان، ومشاعره نحو المسائل الكبرى،وكم هو كبير عدد الكتاب الذين أثروا بشخصيته الفكرية والروحية في الكتابات معاصريهم أو اللاحقين ،ويمكن تحت هذا الأساس فهم نبرة التنوط والضيق في "رباعيات" عمر الخيام الشهيرة ،والمتبرمة من القيود العامة للمجتمع الفارسي في القرن الثاني عشر ميلادي وهو تعبير نستشف فيه أسى المفكر وتشاؤم الفيلسوف ،وقد رأى "كتاب القرن التاسع عشر الأوروبي وشعراؤه في تلك "الرباعيات "تعبيرا عن روح عصرهم ،إذ كان الصراع في عصرهم قد بلغ أشده بين العلم في حقائقه المادية وبين المثالية المبنية على أساس خلقية ودينية غير ثابتة.[2]

وامتدت خطوة الخيام حتى بلغت انجلترا،وسمحت للشاعر الانجليزي "فيتزرجرالد" بتبني رؤية رباعيته الشعرية في "أفكار وخواطر انجليزية على الرغم من طابعها الشرقي العام، وعلى الرغم من أصل أفكارها الفارسي على أنّ بها ست عشر رباعية ليس لها أصل فارسي،وهي نسبة ليست باليسيرة إذا قيست بمجموع الرباعيات التي نظمها"فيتزرجرالد" وهي تسع وسبعون[3]،وهذا غن دلّ على شيء فإنما يدل على أن "فيتزرجرالد" تجاوب مع ميول الخيام الفكري،ومن ثم تأثر بنزعته التشاؤمية وتأملاته الفلسفية ،وموقفه من الحياة ومصير الإنسان الذي فلسفه في رباعيته.

---

[1] - محمد غنيمي هلال،المرجع السابق،ص 83.

[2] - المرجع نفسه ،ص 107.

[3] - المرجع نفسه ،ص108.

2) المتلقي:

- إنّ دراسات التأثير الأدبي تبحث عن علاقات التماثل والقرابية بين الأعمال والنصوص الأدبية البعيدة في الزمن أو في الفضاء والمنتسبة إلى لغات متعددة وثقافات مختلفة ،لا يمكنها أن تستغني عن المتلقي الذي يحتل موقعا حساسا وجوهريا في الأدب المقارن بوصفه عنصرا مستقبلا لمستجدات الآخر كلها "تأثر أدباء فرنسا بأدباء ألمانيا وانجلترا وإيطاليا وإسبانيا وروسيا" [1]،بعد تكوين صلات بهؤلاء الكتاب عن طريق قراءة نصوصهم الأصلية والمترجمة ،فجل النصوص الأدبية تنطوي في ذاتها على تناصات تختلف في مرجعيتها وبيئاتها ،كما تختلف في لغتها و زمانها أيضا، وهذا يؤكد أن " التأثير بشيء وجود نقل أقل مادية ،وأكثر صعوبة في تحديده ،تبعا لتغيير الشكل ونظرة المتلقي الفنية والفكرية[2]،وحسب رأي الطاهر المكي فإن المتلقي يتحرك ضمن إطاراتها في غير مستقر،ويبقى أفقه الثقافي مستمر تبعا لعنصرين:

➢ **الاختبارات الفردية والميول الأدبية:**

ونجدها في مستوى لغة النص او صوره،في بيئته الكبرى أو في بناء الصغرى المكونة له، في بيئته السطحية أو في بيئته العميقة، في موضوعه أو في مضمونه، ف"التأثير أمر جوهري يعدل شخصية المؤلف الفنية ويجعل المتأثر ينتج عملا ذاتيا بالضرورة ولا يقتصر على التفاصيل الفردية أو الصور أو الاستعارات ،أو حتى المصادر ولو أنه يشملها جميعا ،فهو يتسرب إلى العمل الفني ويتخلله ،ويظهر من خلاله جملة ،ولا تدخل في نطاقه النقول الحرفية[3].ومن غير الغريب أن يصبح تأثر المتلقي وسيلة لتحقيق غاية تسخر ضمنيا للتعريف بمدى الأصالة،ولتوضيح هذه الفكرة نستحضر نموذج "الكوميديا الإلهية" للشاعر الإيطالي "دانتي" الذي اقتبس موضوع الدنيا والآخرة من المعراج المحمدي ثم أوّله بحسب مفاهيم أمته،حيث صوّر الفردوس والجحيم والمطهر في سلسلة من المعالجات التي يمر بها الإنسان بعد الموت والحساب الذي ينتظره من الله...ذلك بعض ما تتضمنه "الكوميديا الإلهية"التي أعادت ما طرحه أبو العلاء المعري في "رسالة الغفران" فكانت أجواء الرسالة إسلامية خالصة بينما جاءت أجواء "الكوميديا الإلهية مسيحية" ...فقد " يحصل أن يجد الكاتب ما استهواء في نفسه لموضوع من الموضوعات ، فيعيد كتابته بمفهوم جديد ،قد ينسخه أو يعدل فيه أو يعكسه معارضا إياه ويفسره بما يتلاءم وظروف التي يكتب فيها

[1] - عبده الراجحي ،محاضرات في الأدب المقارن،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان،2007،ص43.

[2] - الطاهر أحمد مكي،المرجع السابق،ص 247.

[3] - المرجع نفسه،ص 27.

مراعيا الجماعة وميولها ومحليتها وخصوصياتها وتراثها وقيمها..."[1] وعلى هذا النحو اعتنق دانتي القيمة الثابتة وهيأ الرحلة إلى العالم الآخر ثم نسج فكرته على خلاف النظرة الإسلامية فالآخر إذن هو الأدب أو الأديب أو الكاتب الذي يتأثره بغيره" أو لغة الأمة المتأثرة بلغة أخرى ، على أن يكون هذا التأثير أجنبيا قد جاء من الخارج وجمل إليها من خارج الحدود"[2]

- **العلاقة بالواقع:**

-تأتي العلاقات التاريخية والجغرافية والثقافية التي تجمع الذات المتأثرة بالذات المؤثرة في صدارة اهتمامات الدراسات المقارنة وترجع أهمية تلك الأسس في كونها أفضل سبيل لتوضيح وثاقة إلتماي الداخلي بالتطورات الثقافية والسياسية والاجتماعية والثقافي والاقتصادية وما غلى غير ذلك من متغيرات المجتمع الذي حدث فيه التقليد الأدبي لأن هذا السياق الذي أنتج فيه النص والسياق الذي تمت فيه عملية التأثير والتأثر كفيل وحده بالكشف عن معناها ودلالاتها[3] والمنقب في إثبات صلة فولتير ب "ألف ليلة وليلة" -مثلا- يجد فولتير يصرح علنا أنه قرأ الليالي أكثر من أربعة عشر مرة خصوصا بعد أن قام المستشرق "أنطوان غالان" الفرنسي بترجمة"ألف ليلة وليلة " إلى اللغة الفرنسية بين 1704-1717م وإذا ما راعينا واقع الكاتب المتأثر ،سيتبادر إلى أن هاننا التساؤل عن المصدر الذي استمد منه الأديب هذا الموضوع أو ذاك الشكل الفني أو تلك الفكرة ، أو ذلك النوع أو تلك العروض...؟ وفي الواقع يمكن تحديد التلقي ودرجاته بتقسيمه إلى قسمين:

- **التلقي من المصدر الفردي:**

- قد يكون المصدر كاتبا واحدا أو جزءا من كتاب، أو مجموع أعمال كاتب واحد تظهر في قصص وروايات ومسرحيات الأدباء المتأثرين لتغطية أغراض متفاوتة وفي قمتها رسم الشخصيات ،فمن المعلوم أن "دانييل ديفوي" انتهج نفس منوال "ابن الطفيل " في رسم البطلة "كروزوي"،إذ جعلها تعيش في جزيرة مهجورة سنين طويلة كما عاش "حي بن يقضان" قبل أن يلتحق به احد الشيوخ ،وقصة حي بن يقضان" كتبت في سياق اجتماعي وأخلاقي واسع مس المجتمع الأندلسي في تلك الفترة فعبرت القصة عن نزعة الهروب منن الواقع المؤلم والمشوه مما جعل دانييل ديفوي يسقط ذاته على شخصية "كروزوي" وينزع غلى نزعة الانعزال عن العالم وقت بدأ الإنسان الأوروبي يشعر بالاغتراب جزاء الفتوحات

---

[1] - سالم المعوش،المرجع السابق،ص 80.

[2] - ينظر داوود سلوم،الأدب المقارن،ص23.

[3] - سليم جولة، مجلة اللغة والأدب،العدد 19،جامعة الجزائر،الجزائر،2009،ص23.

العلمية،التي قدمت دور الإنسان في مجتمعه.

➢ **التلقي من المصادر المجتمعة:**

ويتطلب هذا النوع من الاستقبال دراسة مجمل تكوين الكاتب الفكري في أحد أعماله وبرمتها للنفوذ إلى روحه والإلمام بمقدار التأثيرات الأجنبية التي تمثلها و أعاد إنتاجها ونوع المؤثرات ، فمثلا كتاب "الديوان الشرقي" للشاعر الألماني جوته انفتح على ثلاث مؤثرات:

- المؤثر العربي: ويضم الأدب العربي والقرآن الكريم والحديث، أما اثر القرآن الكريم في جوته فقد كان أثرا إيجابيا ،يتمثل في إعجابه بالشرق والحضارة الشرقية والفكر الشرقي بذكره ما جاء في القرآن الكريم من جمال وما فيه من صور مشرفة وأبقاها له ونسبها إليه.

- المؤثر الهندي: ويشمل مجمل الأدب الهندي الكلاسيكي.

- المؤثر الفارسي: ويضم أثر شعراء الصوفية مثل حافظ وغيره من شعراء الفارسية.

3) الوسيط:

حتمية التواصل الإنساني تتأسس على أساس الأخذ والعطاء عبر مختلف قنوات المجتمع وهذا التواصل يجد سبيله في صميم التفاعل الأدبي ويغدو حاجة ملحة للتعاطي والانتقال ليفتح أفاقا فكرية أمام التبادل لم تكن متوافرة من قبل، ويشدد وتيرة التنوع المعرفي وما تيسر له من الثقافات ،فتغذيه التداخلات والتلاقيات والتقابلات المبنية على المحادثات والكلام المتبادل والصداقات بين الأدباء ،وتصبح معرفة العالم الأجنبي كتابة أدبية تتبنى عرض قضاء الآخر،وتتطلب بدورها وجود وثيقة أدبية او وسيط من أي لون ثبت انه قام بنقل تراث امة ما غلى أمة أخرى ،إما بجهد فردي أو جماعي ليفسح المجال أمام انتقال المواد الأدبية من النقيض إلى النقيض،ومثال ذلك الفلسفة اليونانية من المرسل"أرسطو" إلى المتلقي العربي بفضل المترجم الوسيط السرياني،إذ "تم من طريقة وصول هذا التأثير ولعل هذا الوسيط يكون كتابا أو شخصا أو أي طريق آخر"[1] وكما يسميه "غويار" بالعناصر الكوزموبوليتية*.

وتمتد تلك العناصر إلى ما وراء البحار لتشمل التضمينات الثقافية الأكثر براعة والتعديلات

[1] - أحمد ياسين العرود،المرجع السابق،ص 44.

* مصطلح أصله يوناني cosmos يعني ان الكون منظما ومرتبا politis مواطن ،يضاف إليه isme الفرنسي مترجما بياء النسبة وتاء المصدر الصناعي للدلالة على المذاهب الفلسفية والإخلاقية والسياسية.

الإبداعية وتتوقف كيفية الانتقال أو أساليب وصول لمادة الإبداع من أدب إلى آخر على صنف الناقل أو الوسيط.

➢ الوسيط المفرد:

- يكون الوسيط المفرد كاتبا من أبناء الأمة المتلقية أو الأمة المرسلة شديد الارتباط بالأجواء الفكرية والتعايش مع أفق المشتركات الإنسانية وزيادة عن تفاعله مع الحوار الحضاري وانفتاحه عل أدبياته وعطائه واستمراره في رفع وتيرة تفعيل مشاريع ادبية يطرحها للآخر بفعل تأثير ينتظر رد فعل تأثر ،بمعنى ان "قيمة هؤلاء الوسطاء هي تقريب تراثين من بعضهما إلى درجة التماس والتأثير والتأثر" [1]،وقامت "مادام دوستال" بدور الوسيط عندما عرفت الفرنسيين بالأدب الألماني في كتابها عن الانيا 1814م ونشرت كثيرا من الأفكار الجديدة لقومها" وكان لهذه الأفكار تأثيرا في نشأة المذهب الرومانتيكي وفي الأدب الفرنسي كله"[2] وكما دعت إلى بث روح جديدة في المسرح الفرنسي وهذه الروح المنبعثة من المسرح الألماني الذي زلزل العقلية الكلاسيكية التي كانت سائدة في ق 17 م

-المترجم والترجمة:

تعنى الترجمة بمهمة الحوار الأدبي بين الشعوب، وتكاد تكون العنصر الرئيسي فيه لما تنقله من معارف ثقافية وما تقدمه من آخر المستجدات في الشؤون الأدبية ،ولا يقتصر دورها على نقل الأدب من لغتها الأصيلة غلى سائر اللغات العالمية، بل تعمل على نشر الأذواق الأدبية الخاصة والتيارات والأجناس والمذاهب والنظريات الأدبية من أمة إلى أخرى. "والترجمة أجود وسيط وهي تلي ما ينشر عن المرسل وما يقتبس منه، ويكون دور الترجمة في نقله كاملا" [3]،ومن الضروري هنا ان نذكر بان "كليلة ودمنة"تقف شاهدا على مدى تلقف العرب لها م صبغتها بصفة إسلامية ،وهذا ما فعله إبن المقفع وتبعه آخرون في مجال إجراء الحوادث والحوارث على لسان الحيوان شعرا أو نثرا،فكانت ترجمة عبد الله بن المقفع هذه سببا في خلق هذا الجنس الأدبي الجديد في اللغة العربية، ذلك أن حكايات الحيوان في الأدب العربي القديم قبل "كليلة ودمنة" كانت إما شعبية فطرية تشرح ما سار بين العامة من أمثال،وإما مقتبسة من كتب العهد القديم ،أي ذات طابع ديني يتصل بالعقائد"[4]. وفي بلاد الفرس بلغ اهتمام المفكرين مدى بعيدا بهذه الترجمة وعلى رأسهم

---

[1] - داوود سلوم،المرجع السابق،ص 25.

[2] - محمد غنيمي هلال،المرجع السابق،ص 132.

[3] - داوود سلوم،المرجع السابق،ص 25-26.

[4] - محمد غنيمي،المرجع السابق،ص 184.

"حسين واحظ كاشغي" الذي نقلها إلى اللغة الفارسية فكان عمله هذا خطوة كبيرة في مجال الأدب ،ودليلا قاطعا على مدى فاعلية التبادل الثقافي الأممي ،توج في نهاية المطاف بتأثر فرنسي "لافونسين "بحكايات "كليلة ودمنة" الذي أعد تجسيدها في كتابه"Les tables "

- الرحالة :

- تشكل كتب الرحالة رافدا أساسيا من روافد الأدب العالمي،بما تمده من معلومات عن الطبائع التي زاروها، وعن ميولهم واتجاهاتهم ،وتأتي أهمية نتائج مذكرات الرحالة في كون مضامينها وقصصها ومشاهدات أصحابها وثائق تاريخية وجوهرا وسيطا بين الأدب الأصلي والأدب الآخر لما يقدمه الرحالة – بعد طوافهم- من الشخصيات والآراء والمعارف لأبناء شعبهم ، فالرحلة قديمة قدم الزمن " ارتبطت تاريخيا بحوافز دينية كالحج والغزوات كالحروب الصليبية أو ببعثات علمية دراسية أو بمغامرات الاكتشاف الجغرافية"[1] وهي معروفة عن العرب بالرحالتين إبن بطوطة والمسعودي وترجمت لدى الغرب بحركة الاستشراق ،وغن اتخذت هذه الحركة وجهة أخرى استعمارية في بعض الحقب الزمنية ،أو ما عرف بالانتقال المادي والغزو العسكري ،الذي يفرض سيطرته وفكره وآراءه وآدابه على الآخرين المغزيين كاحتلال فرنسا للجزائر ،الذي استطاع الفرنسيون بفضله "أن يؤثروا بعمق في حياة الجزائريين وأساليب حياتهم وتفكيرهم ،خصوصا لغتهم جراء غزوهم الجزائر" [2] وهو وجه يحمل الطابع الانتقالي الواسع النطاق من مكان إلى آخر ويفتح مجالا رحبا أمام التعايش الفكري الأدبي والتكيف مع بنيات وقيم إنسانية كيفما كانت ظرفيهما" فتلك الأسفار الطواعية أو غير الطواعية التي كانت تضحيات منسقة أو تستسلم للضرورة ،قد أنتجت أدبا غزيرا ،أشياء مرئية ومسموعة ،أو أنها كانت تروى لدى العودة ،وهي التي أخصت الخيال غير ان أثرها قد ضاع أو أنها سجلت على الورقة وعلى أشكال متفرقة"[3]،وربما يعود السبب في ضياع المذكرات إلى اكتفاء بعض الرحالة بملاحظات تجريبية على أوراق مثنية كسجل مذكرات"مونتسكيو" وعلاقات السفر ل"شاتوبريان" مرورا بيوميات السعر ل"مونتينيه" لكن ذلك لا ينفي وجود قراءات استطلاعية وتعريفية تطوق لمسايرة ،كل طرح أدبي أو فكري جديد ولعل مجمل الذين سافروا إلى حدود دول أوروبا حاولوا التأقلم مع الجديد فما رون النقاش -مثلا- نقل المسرح إلى بلاد الحرب.

- الكتب:

---

[1]- سعيد علوش،المرجع السابق،ص 103.

[2] - سالم المعوش،المرجع السابق،ص 14.

[3] - بيربرونيل،كلود بيشوا،أندرريه ميشيل روسو، المرجع السابق،ص40.

- تأتي الكتب في مقدمة عوامل عالمية الأدب التي تختزن في بطونها إثباتات مكتوبة تبين مدى التواصل بين أفكار الشعوب وثقافاتها،وتلقى الضوء على انتقال المعرفة اللغوية من شعب إلى شعب آخر أو يدخل في هذا الإطار " ما أدلى به الكاتب من تصريحات عن نوع ثقافته وتأثره بكاتب أو ثقافة بلد ما،وقد يكون المؤلف نفسه قد كتب بعض مؤلفاته بلغة أجنبية"[1] ،والأدب العربي حافل بالأدلة العاكسة لما هو مشترك بينه وبين الأدب الفارسي مثل:" البيان والتبيين " للجاحظ و "الأغاني " لأبي الفرج الأصفهاني لا كما نجد كتبا فارسية عديدة متأثرة بالأجواء والأفكار والاساليب العربية والإسلامية ك "منطق الطير "لفريد الدين العطار و"رباعيات" الخيام ،ويضاف إلى هذا المجال كتب النقد والصحف والمجلات :"وهذه تكون وسيطا جيدا أما بنشر النصوص النقدية إما الترجمات ويمكن التمييز هنا بين المقالات التي تقدم الفكر الأجنبي والمقالات التي تقدم نقدا حوله"[2] وكثيرة تلك النشرات التي تعلى بدراسات نقدية حول الأديب أو أكثر ومرحلة تاريخية معينة،كبعض الصحف المصرية التي ترجمت آراء "رولا " قديما وصحيفة "البلاغ" التي قدمت الكثير من الكتاب الروس العالميين من أمثال "مكسيم جوركي".

➢ وسيط البيئة الاجتماعية :

- البيئة المقصودة أدبيا يكون الوسطاء فيها بحكم وضعهم الاجتماعي ناقلين للأدب من بلد آخر و أمثال هؤلاء هم الجمعيات ،الصالونات الأدبية ،البلاطات ،المدارس الدينية والجاليات ،لأن "الدور الذي يمارسه رجال منفردون قد يكون مهما ،ولكنه عندما يمارس من رجال متضامنين يكون أشد قوة أيضا ،وعندما يتجمعون أيضا فإنهم يمارسون جاذبيتهم وإشعاعهم على مسافات بعيدة"[3] وكثيرا ما يكون هؤلاء مسؤولين عن شيوع مذاهب فكرية ونقدية أو نظريات أدبية وتتحول جلساتهم إلى منابر خطابية تتبنى فكرة وطنية أو قومية إنسانية لترويج لها ،وعلى سبيل المثال "تعد سويسرا الوسيط وفي أغلب الأحيان المصفاة التي تؤثر من خلالها ألمانيا وحتى انجلترا وفرنسا عبر زيوريخ في فرنسا"[4] وهي أمة متسامحة جذبت اهتمام الألماني والانجليزي والفرنسي في نفس الوقت، وقامت بدور الوسيط بينهم والمجالس الأدبية تعود إلى زمن اليونان والرومان ،حيث كانت تقوم المناقشات على مختلف أشكالها وكان الحلفاء المسلمون يشجعون اللقاءات والندوات والمنطارات ،إذ عقد أبو حيان التوحيدي ،معظم حلقاته في كتابه "المقايسات" فيما يشبه هذه

---

[1] - محمد غنيمي هلال،المرجع السابق،ص 93.

[2] - داوود سلوم،المرجع السابق،ص 25.

[3] - بيربروتيل،كلود بيشوا،أندريه ميشال روسو ،المرجع السابق،ص 43.

[4] - المرجع نفسه،ص 44.

المجالس[1] وتمكنت هي زيادة من دفع الأدب قدما إلى الأمام بواسطة صالونها الأدبي باستضافة كبار الكتاب العرب ،وهو الأثر نفسه الذي نجده لدى بعض الجمعيات الأدبية التي نشأت في الغرب منذ أمد بعيد وفي مقدمتها نادي "رومبوييت"Salon de rambouillet الذي ازدهر من عام 1621م إلى عام 1948م ...سهل نفوذ الآداب الإيطالية والاسبانية إلى فرنسا في العصر الكلاسيكي" [2]كما كان لصالون مدام دوستال في قصر كوبيه بجنيف (1795م-1821م)أهمية بالغة في ترويج الأفكار الأدبية وتنشيط الحركة الادبية.

ج- التأثير الفرنسي في الأدب الجزائري:

- انطلق الفكر الفرنسي عبر الجزائر مبشرا بميلاد الديمقراطية والتعددية الثقافية متفقا مع ضرورة إرساء حرية التغيير وحقوق الإنسان والاعتراف بالتنوع الثقافي والديني والإثني وغيرها من القيم الإنسانية و"كان كل شيء يوحي بميلاد عهد تتساوى فيه الحقوق وتقسم فيه الواجبات وترفرف على الكل راية الحرية"[3]ولكن الأقوال لا تترجم غلى أفعال وقت تتحول إلى ما يشبه و الشعارات المروجة للأطماع المادية وتعزز بأصوات ادبية تؤيد استغلال الإنسان لأخيه الإنسان من قريبب أو بعيد وأهم تلك الأصوات صيت الرومانسي"لامرتين" والواقعي"بلزاك" وخلفهم "جورج صائد"،فقد "كانوا أبواق الاستعمار "[4] التي تتغنى بفضائل الأوروبي على نظيره الجزائري وتحرض على اغتصاب أرض الجزائر ،ولم يكلف لامرتين نسه عناء الدفاع عن أفكاره التحررية بل بالعكس تحمس لفكرة الغزو وعبر ذلك بصراحة لفظية.

" لا يجب أن نتخلى عن الأراضي فيما وراء البحار ،فالإبقاء عليها في صالح بلادنا،والجزائر هي حركة مجيدة تركتها لنا الحكومة السابقة ،وهي تذكار نبيل قدموه لفرنسا ،أن الجزائر كما اعتقد يجب أن تظل جزءا من أرض فرنسا"[5]،ولم يكن صوت لامرتين وحده المعبر عن تمويل الحملة الفرنسية ضد الجزائر بل يمكن الاحتكام إلى نصوص عنصرية صرفة للعنف من الكتّاب الفرنسيين ،حملوا على عاتقهم مسؤولية فرنسة إفريقيا على المنوال المتوسطي ومباركة طبيعية للجزائر الجميلة

وشمسها المشرقة ،ليتيحوا لحلفاء الرفاهية فرصة استغلال ورقة رابحة ومربحة "وادعى

---

[1] - ينظر سالم المعوش،المرجع السابق،ص 111.

[2] - محمد غنيمي هلال،المرجع السابق،ص 135.

[3] - عبد الله حمادي ،مساءلات في الفكر والأدب ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1988،ص 292.

[4] - حفناوي بعلي،المرجع السابق،ص 109.

[5] - عبد الله حمادي ،مساءلات في الفكر والادب،ص 294.

كل منهم* جزائريته ،ولكن لم يستطع واحد منهم أن يصور الجزائر في الواقع ،فقد شاهدوها من السطح ،من مكاتب الإدارة الاستعمارية في الجزائر وصوروا فيها حياة تلك الفئة الأوروبية التي استوطنت الجزائر وعاشت في ربوعها لأكثر من قرن وربع قرن"[1]،فهم الذين عبّدوا الطرق-إذن- لما يسمى بالإيديولوجية الكولونيالية،وغدوا اتجاهات الأدب السائدة في تلك الفترة.

- و أمام مواقف الكتاب الفرنسيين السلبية وتصاعد الإيديولوجيا الكولونيالية ،اتبعت فكر أدبي جديد متخذا اللغة الفرية وسيلة للتعبير والفكر العقلاني نموذجا انطلاقا من موقف الإعجاب وموقف التماهي أو موقف المقاومة ،لأن التقوقع على الذات كان مستحيلا في تلك الأيام وغن كانت غطرسة الغرب وظلمه سببا لمقاومته والوقوف أمام مشاريعه فغنها ليست مبررا لرفض فكره العقلي.

أ) موقف الإعجاب:

شاع هذا الموقف عند رعيل الأول من الكتاب الفرانكفونيين الجزائريين ووصل عند البعض إلى درجة تعطيل أجهزة المقاومة وفعاليات الوعي،واستبعد عند البعض الآخر الطاقات الإيجابية الذاتية، وسبب الإعجاب في كل الحالات يعود إلى انتقائية الأدباء الجزائريين وقوة الغرب من بعد ضعف ،فاستعار بعض الكتاب أدوات تعبير فرنسية في ظن ساذج منهم بأن جوهرية قوتهم تكمن في لغتهم وطابعهم الأدبي العالمي الذي يختزل حقيقتهم الغريبة "لأن الأمر بالنسبة لهم كان يعني أن يظهروا بأنهم يستطيعون الكتابة بفرنسية جيدة، بدون أخطاء في التركيب وبأسلوب أكاديمي"[2] بمعنى أن حال هؤلاء الروائيين "الأهالي يشبه حالة الناسخين للأساليب الروائية الكولونيالية فحولوا الإنسان الجزائري إلى صورة فولكلورية سياحية وموضوع تسلية استهلاكي ووقعوا في شراك المركزية الأوروبية من حيث لا يحتسبون ولا يدرون حين اعتبروا النص الفرنسي هو المرجع وهو الحكم شكلا ومضمونا مما أفقدهم الكثير من طاقاتهم الذاتية وجعلهم ينهمكون في سبيل المثقفة والمحاكاة التي مفادها البحث عن الآخر و بالأحرى خصوصيته وهو موقف يدعو صراحة إلى الالتحاق بالحضارة الغربية أو المشرع الغربي دون قيد أو شرط لكن تجاربهم أثبتت إخفاق دعوتهم اللاتاريخية وان حاضر الجزائريين ليس بماض لأتني وإنما بربري إفريقي وأكدت او وظيفة الأدب الحقيقية تكمن في بعث القيم الأصلية عن طريق اغتنامها بمضامين جديدة متفقة مع الواقع والممكن،وعلى أية حال هذه المضامين الجديدة إنما تتيح من "قدرتها على

* غابرييل أوديسيو،أدموند بروا،ألبير كامو،جبل روي.

1- حفناوي بعلي،المرجع السابق،ص 110.

[2] - حفناوي بعلي،المرجع السابق،ص 158-159.

انتاج قيمها المنسجمة في منظومة متماسكة ،تحدد رؤيتها للذات وللآخر وللواقع وللمستقبل" وهكذا أصبح التماهي الغرب وتكرار نموذجه يعني الحرمان من أهم القيم الاجتماعية والعادات وأنماط السلوك نوتبني قيم الآخرين الجاهزة.

ب) موقف المقاومة:

- تجاوزت الرواية الجزائرية بالفرنسية نموذج الجزائري السلبي والساذج واستفرت موقف النظرة الكولونيالية العنصرية والسطحية وقد عرفت فترة ما بين الحربين العالميتين عهد قص جزائري جديد" وبدأ الإعلان عن نص روائي جديد يبشر بإنسان جديد وبعقل جديد قلب موازين البطولة الروائية فإذا كان الآخر الفرنسي هو المركز في الرواية الكلونيالية و"الأنا "أي "الأهلي" هو الهامش..وفي هذا النص الجديد ولد إنسان جديد"[1]

- يحاول الشعب الجزائري ويناهض الاستعمار،لأنه يرى خير أوروبا ويرى شرها،فيأخذ من خيرها ويتجنب شرها ما استطاع،وهذا ما يؤكده عبد الحميد الزاهري قائلا"لا ينفعنا أيضا تقليد كل أشباه الأجانب باسم التمدن،فإنه لا عصمة لأمة من الخطأ ولا يستحق أحد أن يقلد تقليدا محضا بل علينا أن نستعمل التفكر ونستهدي التجارب ونساعد في تأييد أنفع الروابط ...، وإسقاط الروابط للتكامل البشري"[2]

وموقفه هذا هو أقرب المواقف إلى المنطق والموضوعية ،ففضلا عن تمثل أدباء الجيل الثاني للفكر المنطلق من واقع التاريخ والمجتمع بحثوا عن الذات وعن الهوية ،وعن الانتماء ،بعد أن تفرقت سبل الجزائريين وتضاربت أهواؤهم وتعددت انتماءاتهم بين دعاة الاندماج ودعاة المقاومة والإصلاح.

الفصل الثاني:تأثير الأدب الفرنسي في رواية نجمة لياسين

1- نبذة عن حياة كاتب ياسين :

[1] - حفناوي بعلي،المرجع السابق،ص 161.

[2] - محمد راتب الحلاق،المرجع السابق،ص 41.

1) مولده ونسبه:

ولد الشاعر والمسرحي كاتب ياسين يوم 6 أوت 1929 في قسنطينة "يتجدر من أسرة محافظة ومتوسطة الحال حيث كان أبوه يشتغل وكيلا وقاضيا لدى المحاكم الشرعية في الجزائر ،كما أن أسرته ذات أصول أمازيغية ،فهي من أمازيغ الأوراس ،وقد غادرت دياره في نهاية القرن التاسع عشر ،لتستقر قرب قسنطينة ،ثم تعربت بعد ذلك،أي أصبحت تتحدث العربية ،شأنها في ذلك شأن الكثير من الأمازيغ الذين يغادرون مناطقهم الجبلية إلى المدن وقد اكتشفت كاتب ياسين أصوله الأمازيغية عند انتقال أبيه إلى العمل في نواحي سطيف ،فاحتك هناك بالسكان القبائل ،وكشف له أبوه أنه يفهم ما يقولون باللهجة القبائلية وأنها لا تختلف كثيرا عن اللهجة الشاوية ،ويبدو أن هذا الاكتشاف المتأخر للهوية الأمازيغية للجزائر ،ويكرس حياته من أجل هذا الهدف ولعل أيضا انحدار أسرته من جبال الأوراس جعلت منه إنسانا متمرءا مثل الكثير من الأوراسيين.[1]

2- دراسته:

بدأ كاتب ياسين الدراسة في المدارس القرآنية في مسقط رأسه أي تعلم اللغة العربية وحتى القليل من القرآن الكريم ،شأنه شأن أغلب الأطفال الجزائريين أثناء العهد الاستعماري ،ثم في الوقت نفسه ،أدخله أبوه إلى المدرسة الفرنسية ،"وقد انبهر بشكل كبير بمدرسة الأوروبيين وطريقة التدريس الحديثة التي يستعملونها ،فقارن بينها وبين أساليب المدرسة القرآنية العتيقة، كما قارن أيضا بين المعلم الأوروبي ومعلم المدرسة القرآنية ،فوجد بونا شاسعا بينهما في أساليب التربية ويبدو هذه المقارنات قد تركت تأثيرا بالغا على المسار الفكري لكاتب ياسين فيما بعد".[2]

بعد تتمة الدراسة الابتدائية انتقل إلى مدينة سطيف لمواصة دراسة الثانوية هناك ومن الصدف انه عايش هناك مظاهرات 8 ماي 1945 وكان أحد المشاركين فيها وقد نجا من الإعدام بأعجوبة " فبعد أن اوقفه الجيش الاستعماري صوّب الجدار إلى جانب مجموعة من الجزائريين لرميهم بالرصاص . تدخل أحد الضباط ليبعده بدعوى انه صغير لا يتعدى السنة العاشرة ،خاصة وان بنيته ضعيفة جدا ،فأعطته ملامح طفل صغير أقل من سنه بكثير فكانت لذلك الأحداث تأثيرا كبيرا على دراسته ومساره السياسي، فقد كان مصيره الطرد من الثانوية والسجن لمدّة عام في سجن قسنطينة بسبب مشاركته في مظاهرات 8ماي

---

[1] - بشير بلاح،تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989) ،ج 2، قسم التصديق ،دار المعرفة ،بدون سنة،بدون طبعة،ص353.

[2] - المرجع نفسه،ص 345.

1945[1]،وقد دفعته تلك الأحداث إلى الانخراط بقوة في النّضال من أجل تحرير بلده من المستعمر بكل الوسائل ،ومنها الكتابة الأدبية ،" وقد كانت هذه الروح الوطنية هي التي ألهمته روايته "نجمة" عام 1956 ، وهي رمز للجزائر "[2]، " ونشير إلى أن كاتب ياسين قد سبق هذا العمل بعدة مقالات وأشعار نشرها في جريدة "الجزائر الجمهورية الموالية للحزب الشيوعي الجزائري ،الذي انخرط فيه قلبا وقالبا،ومنها أيضا مسرحيته "الجثة المطوقة" التي نشرها في مجلةEsprit*الفرنسية ،وهي تعبير عن الجزائر التي طوقها الاستعمار من كل جانب"[3]

" كما يبرز نضال كاتب ياسين من أجل التحرير الوطني في محاضرته الشهيرة التي ألقاها حول الأمير عبد القادر في الجمعية العلمية بباريس عام 1947 ،وعنونها ب " عبد القادر واستقلال الجزائر ،وقد نالت هذه المحاضرة ،واستهدف بها إبراز حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره"[4] ،مادام أنه يشكل أمة بمقومات تختلف عن الأمة الفرنسية ،وقد حاول التأثير على المثقفين الفرنسيين واكتسابهم إلى جانب القضية الجزائري ،وقد نشرت دار النهضة الجزائري المحاصرة كاملة عام 1948 ،والتي كان يملكها ويديره عبد القادر ميموني .

3- حياته المهنية ونضاله من اجل تحرير الجزائر:

- لم يواصل كاتب ياسين دراسة منتظمة ،فبعد أن طردته السلطات الاستعمارية من الثانوية بسبب مشاركته في أحداث 8 ماي 1945 ، ثم اعتقاله بسبب ذلك لمدة عام " هاجر إلى فرنسا بحثا عن العمل،فاشتغل كعامل زراعي ثم كهربائي ،بالإضافة إلى اشتغاله لفترات متقطعة في بعض المصانع ولعلّ هذا الأمر هو الذي جعله أكثر تعلقا بالطبقات الشعبية والعمالية طيلة مسيرته الأدبية والمسرحية"[5]

- عند اندلاع الثورة المسلحة عام 1945 ، " انخرط فيها بأعماله وكتاباته، بهد اكتساب الرأي العام الأوروبي عامة والفرنسي خاصة، وقد نشر العديد من المقالات في مجلة الجيش

[1] - بشير بلاح،المرجع السابق،ص 345.

[2] - ينظر،المرجع نفسه،ص 345.

* مجلة مسيحية فرنسية ،وقفت إلى جانب الشعب الجزائري في ثورته من أجل التحرير من ربقة الاستعمار الفرنسي.

[3] - بشير بلاح ،المرجع السابق،الصفحة نفسها.

[4] - المرجع نفسه ،ص 345

[5] - المرجع نفسه ،ص 345

التي كانت تصدر بالمغرب الأقصى، والتي تتحدث باسم مجاهدي جيش التحرير الوطني"[1]

- بعد استرجاع الجزائر استقلالها " واصل كاتب ياسين نضاله من اجل ثلاث قضايا سياسية وهي خدمة الطبقات الكادحة والمحرومة ،ومناصرة حركات التحرر للشعوب في العالم وعلى رأسها الشعبين الفلسطيني والفيتنامي"[2]، من أجل استعادة البعد الامازيغي للهوية الجزائرية.

كما كان كاتب ياسين معارضا للنظام القائم بالجزائر " فتعرض للاعتقال والنفي عدة مرات فقد اضطر للعودة إلى فرنسا بعد دخوله الجزائر عام 1963 ،وذلك بعد اعتقال نظام احمد بن بلة صديقه الفنان التشكيلي العالمي محمد اسياخم بسبب مواقفه المعارضة لدكتاتورية احمد بن بلة ،ولم يعد كاتب ياسين إلى بلاده الجزائر إلا في عام 1996 ،لكنه بقي منبوذا من النظام بسبب رفضه للظلم والدكتاتورية ووقوفه غلى جانب المحرومين والمضطهدين في كل بقاع العالم ،ومنها بلاده الجزائر"[3]

- و" في عام 1970 أشرف على مسرح مدينة سيدي بلعباس ،فأنشأ الغرفة المسرحية للنشاط الثقافي للعمال ،وقد جابت هذه الفرقة بلاد الجزائر طولا وعرضا لتمثل المسرحيات التي كان يؤلفها، إلا أن النظام القائم آنذاك كان يخشى من التأثير الكبير لمسرحياته على الرأي العام الجزائري ،لما تحمله من روح نضالية ضد الظلم والقهر والاستغلال وطمس للهوية الامازيغية التي هي الهوية الأصلية والحقيقية للشعب الجزائري "[4] فعميل النظام على عرقلته وتشويه سمعته بكل الأساليب ،كي لا يكون أي تأثير لأفكاره ومسرحياته على الشعب فاضطر كاتب ياسين إلى الخروج مرة أخرى من بلاده الجزائر حتى وفاته.

وقد زار كاتب ياسين العديد من بلدان العالم وقد مثلت مسرحياته في العديد من بلدان العالم ،كما ترجمت من اللغة الفرنسية إلى عدة لغات عالمية.

<u>4- تنقلاته:</u>

أ- فرنسا:

خطّ كاتب ياسين الرحال بالعاصمة الفرنسية "باريس" سنة 1947م واستقر بها ما يقارب تسعة أشهر بعد أن قطع صلته بدراسته لكن شاءت من الأقدار أن يحقق غايته باقتحامه جو

[1] - بشير بلاح ،المرجع السابق،ص 355

[2] - المرجع نفسه،ص 355

[3] - ينظر المرجع نفسه،ص 356.

[4] - المرجع نفسه،ص 356.

الكتابة التي لم تكن مجرد كتابة عادية ،بل أنها الكتابة عن مؤسس الدولة الجزائرية ورائد النهضة السياسية عن عبد القادر تمييز كفن الفضيحة الذي زعموا أنهم دفنوها أحياء"[1]،وما المحاضرة التي ألقاها بهذا الصدد بقاعة جمعيات النخبة العالمية الأرصاد لمحطات نضاله السياسي ومقوماته الثورية الظافرة.

- ثم قدر لياسين أن يزور باريس للمرة الثانية ،وأن يرتبط بالثقافة الفرنسية إلى درجة الهيام بها ،ونظم الشعر باللغة الفرنسية التي اكتسبها عندما قرر الإعتزاف عن الثقافة الأجنبية ذات البعد العالمي ،وبالفعل شهدت فرنسا الولادة الأولى لمقطوعة" نجمة أو القصيدة أو السكين" بصفتها النص التأسيسي الكاتبي الأول الذي صدر في دار النشر"لوماركو دي فرونس" سنة 1948م Le mercure de France

" كتب أعماله باللغة الفرنسية لكنه كان مجبرا على ذلك ،وشرح ذلك بقوله "أكتب بالفرنسية لأقول للفرنسيين إنني لست فرنسي"،وكان يرى في اللغة الفرنسية عتيمة حرب. فخلال مسيرته قدم الكثير من الأعمال الروائية أهمها "نجمة" كتبها وعمره لا يتجاوز 28 ،ونجمة هي المرأة التي أحبها لكنها كانت متزوجة من رجل آخر،ويصنف النقاد هذه الرواية غلى انها من النوع الفاضل أي العمل الذي يحدث قطيعة بين الإنتاج الأدبي السابق واللاحق وهي رواية تأريخ ورصد للكفاح الجزائري أصدرها عام 1956م وكانت في الأصل عبارة عن قصيدة بعنوان "نجمة والسكين"[2]

ـ ولم يكتف بالرواية بل خاض غمار الشعر والمسرح ،وعن هذه التجربة يقول" عندما كنت أكتب الروايات أو الشعر ،كنت أشعر بالحرمان لأني لا أصل سوى إلى بصفة آلاف من الناطقين بالفرنسية،بينما وصلنا من خلال المسرح إلى ملايين المشاهدين في غضون خمسة أعوام" [3]

توفي محمد ياسين والد كاتب ياسين سنة 1950م تاركا ستة نساء بدون عائل فأحس كاتب ياسين في ظل هذه الظروف باليأس و"هجر مهنة الصحافة واشتغل حمالا في مرفأ الجزائر و أعقب ذلك فترة عطالة"[4]، ثم انتقل إلى فرنسا - للمرة الثالثة - آملا في العثور على عمل خارج الديار ليعيل هذه العائلة الكبيرة ،مما تسبب في هجرة الكتابة برهة ،ولما استقر توالت كتابته " الجثة المطوقة" الصادرة عام 1965م في مجلة "اسبري" و"نجمة" - الحدث

[1] - عمر مختار شعلال ،الرجل الحر،تر :محمد أوزعلة دار القصبة،الجزائر،2007 ،ص55.

[2] - المرجع نفسه،ص357.

[3] - المرجع نفسه،ص 357.

[4] - إبراهيم الكيلاني،أدباء الجزائر ،بدون طبعة،دار المعارف،مصر،1958،ص 97.

الأدبي الهام- الذي استقبل بصدر رحب في بلد يقدس العلم والعلماء ،غادر كاتب ياسين فرنسا فور نشوب حرب التحرير الجزائرية ليجول مختلف الأقطار الأوروبية ،فقصد في بادئ الأمر إيطاليا ،ومنها رحل إلى تونس ثم عاد إلى نقطة البداية إيطاليا ، وبعد ذلك قرر الانتقال إلى هامبورج ثم ولّى إلى إيطاليا ،ومن ثم أقام في يوغسلافيا سنة ونصف ، ثم هجرها ليستقر في ألمانيا ثم اختار المكوث في بلجيكا ليعود إلى إيطاليا حيث أقام بفلورنسا أكثر من عام وبعد هذه السفريات الطويلة عاد إلى باريس.

ب) الفيتنام:

- يجب ألّا ننسى أن كاتب ياسين أمضى ما يقارب ثلاث سنوات (1970-1967) في الفيتنام ،شاهد خلالها عن قرب إحدى مآسي عصره ، وقد كتب من وحي ما شاهد نصا مسرحيا دراسيا حمل عنوان " الرجل ذو النعل المطاطي" ،يقول" بالنسبة لي لدى الجزائري والفيتنامي نفس القيمة الرمزية والثورية ... النصر الفيتنامي شكل أمل ... علمونا كيف نتجرأ أن نكون رجالا، وكيف نتجرّأ أن نكون جزائريين "[1]، علما أنه اعتمد على مناقشات الجنرال "حياب" في تأليف مسرحيته ،وكان قد قضى أوقاتا طويلة مع ذلك الجنرال الذي قاسمه نفس التصور للحياة ونفس الهدف السياسي أثناء تواجده في هانوي ولطالما ردد كاتب عبارته الشهيرة" الأبرياليون هم تلاميذ أغنياء في التاريخ ،هم تلاميذ غير قابلين للتأديب"[2]

- وقد بقي متأثرا للغاية للغاية بصخب طائرات .. وصفارات الإنذار كما ازداد تقديره للشعب الفيتنامي ،إذ يقول " كيف لا تبهر بهذا البلد الصغير المنشطر والمعذب تحت قصف الدولارات والقنابل والذي استطاع ،رغم هذا أن يرجع اكبر قوة عسكرية في العالم" [3]وربما يتم قوله هذا عن إعجابه بالدرس الذي لقنه الشعب الفيتنامي لكبرى الوحدات العسكرية العالمية ،وبتفانيه في حماية ثرى الهند الصينية من المرتزقة الأمريكان.

ج) أمريكا:

- عاش كاتب ياسين حياته متنقلا بين أرجاء المعمورة ولم يرس على بر، ففي شهر مارس 1987م استجاب لدعوة " فرانترواز كورلكسي"... التي رغبت في أن يزور الولايات المتحدة الامريكية ،وكانت آنذاك مسئولة عن مسرح "أوبوانتر ناشيونال تياتر" .....الذي نظم قراءة أمام الجمهور لـ " عيرة الفهامة" وتمكن من تقديم تحليل باطني بعيد كل البعد عن

[1] -عمر مختار شعلال،المرجع السابق،ص 56.

[2] -إبراهيم الكيلاني،المرجع السابق،ص 129.

[3] - المرجع نفسه،ص 129.

أي فكر عقائدي أو موقف تعصبي،يقول " قبل الذهاب، كانت لدي نظرة متناقضة حول المجتمع الأنجلوسكسوني ،كنت أنكر عليها إبادة الهنود الحمر ،ونهب مصادر أرزاقهم وتحريكهم نحو المجتمعات ،كما كنت أنكر استرقاق السود ،وفظائع " الكوكلوس كلان" الرأسمالية الهمجية، والتأييد الدائم للدكتاتورية العسكرية ولإسرائيل... وأخيرا أسلوب الهيمنة العالمية الذي يميز الولايات المتحدة"[1]

وهذا الكلام يؤكد أن تلك السفرية سمحت له بالتوفيق بين أفكاره الماضية وبين ما شاهده ،أي التفريق بين أمرين: أمريكا الإمبريالية والشعب الأمريكي، حيث نفض الغبار عن تناقضات أمريكا ،التي استوعبت مع مرور الزمن سعة فكر فولكتر من جهة ، كما ساعده الإرث الإفريقي الرجل الأبيض على المضي قدما نحو التقدم العالمي وفك قبضة إيديولوجية " الكوكلوكس كلان" البغيضة، ولعل الأمر الذي شد انتباه ،كاتب ياسين في أمريكا الحالية هو "تراجع العنصرية في حين تزداد حدة هذه الظاهرة ،في فرنسا مع الاعتداءات اليومية ضد المغاربة"[2] ،وهو نفسه كان يغطي بشكل واسع أعمق ما في الحضارة الأمريكية يقول" لقد قابلت أمريكيون وأمريكيات يشبهونني أناس منطقيون ومحبطون، وفي خضم أسبوعيين زرت ثلاث مدن : نيويورك ،واشنطن ، فيلاديفيا ...مكان فولكتر الاسطوري"[3] بقضائه أحلى الليالي مع فرق موسيقى الجاز ،وتيقن كاتب خلال هذه الرحلة من"جهل الشعب الأمريكي لمأساة الفلسطينيين بسبب دعاية اللوبي الصهيوني القوي"، كما تأكد من أن المأساة السالفة لليهود - في نظرهم- تحجب المأساة الراهنة للشعب الفلسطيني.

5) شخصيته:

تتميز شخصيته كاتب بالتمرد ضد كل ما يراه أنه يقهر الإنسان ويستعبده ، كما أنه يعبر عن قناعاته بكل شجاعة دون لف أو دوران ،فهو لا ينافق ،كما تخلو شخصيته من أية انتهازية فكان بمقدوره أن يعيش في أحسن القصور ويمتلك الأموال أو قبل بما يعرضه النظام عليه من امتيازات ومنع الحياة شريطة التنازل عن قناعاته وأفكاره ومبادئه وعدم إقلاق النظام الحاكم في الجزائر "إلا أنه فضل العيش في غرفة واحدة وبؤس شديد على أن يبيع نفسه "[4]

[1] - عمر مختار شعلال ،المرجع السابق،ص 133.

[2] -المرجع نفسه،ص 134.

[3] - المرجع نفسه،ص 135.

[4]- بشير بلاح ،المرجع السابق،ص357.

*كلمة التأبينية هي كلمة تلقى حول الميت.

6) وفاته:

" توفي كاتب ياسين يوم 29 أكتوبر 1989م بإحدى مستشفيات غرونوبول بفرنسا بعد مرض عضال ،وثم نقل وفاته إلى الجزائر ليدفن في مقبرة العالية إلى جانب أمه ،وقد شارك في جنازته جمع غفير من الناس إلى جانب عدد كبير من رجال الأدب والفكر والفن،ووري التراب بعد إلقاء الكلمة التأبينية * حوله و آداء الصلاة عليه، وقد خلف ابنا سماه مازيغ نسبه إلى الجد الأول للشعب الأمازيغي وهو مازيغ كنعان بن سام بن نوح.[1]

7) المؤلفات:

لقد توزع الإنتاج الأدبي لكاتب ياسين ما بين الرواية والشعر والمسرح بحيث ترك روايتين هما " نجمة" و"السداسي النجمي" بالإضافة إلى بعض الإشعار والعديد من المسرحيات التي يتناول فيها قضايا وطنه وقضايا المضطهدين في العالم ومسألة الهوية والشخصية الجزائرية وتتمثل كل هذه الأعمال في:

- ✓ **الجثة المطوقة: "Le cadavre en cercle" 1959م**

تدور أحداث المسرحية حول البطل لخضر المحاصر من قبل الاستعمار ،غذ يحاول هذا البطل أن يستعيد ماضيه وماضي بلاده، اللذان أحفاهما قناع الاستعمار ،وهو"في غمرة ذلك الصراع يدور في تلك الدائرة الضيقة أن الانتفاضة الثورية وحدها هي التي ستحطم تلك الدائرة" [2] لقد مثلت لأول مرة على خشبة المسرح بقاعة موليير ببروكسل في بلجيكا يوم 25 نوفمبر 1958 ،"وقد نشرت عام 1959م ضمن كتاب "دائرة الانتقام"،الذي ضم أيضا مسرحيتين آخرين هما "مسحوق الذكاء" و"الأسلاف يضاعفون من قسا وتهم"[3] " بالإضافة إلى ديوان شعري بعنوان"العنقاء"

- ✓ **مسحوق الذكاء:"La poudre d'intelligence" 1958م**

"هي مسرحية ترمز إلى الصراع بين المثقف الملتزم والواعي، والذي يمثله الفيلسوف الذي يناضل ضد الاستغلال والاستبداد الذي يتمثل في نظر كاتب ياسين في كل من السلطة السياسية الممثلة في السلطان و الحاكم وأصحاب السلطة الاقتصادية والمالية أو الرأسمالية بالإضافة إلى السلطة الدينية الممثلة في رجال الدين الذين يبررون استبداد السلطان

[1] -بشير بلاح،المرجع السابق ،ص357.

[2] - أحسن ثليلاني ،المسرح الجزائري والثورة التحريرية ،ص 139.

[3] - بشير بلاح ،المرجع السابق،ص 358.

واستغلال الرأسمالي"[1] ،فهي تتخذ شكل الكوميدية ويعرض كل أشكال المقاومة.

- ✓ **الأجداد يزدادون ضراوة:"Les ancètres redoublent de ferocitè" 1959م**

" سجلت هذه القطيعة العودة إلى التراجيد بالجزائرية والنضال في كفاح المرأة المتوحشة من أجل نساء المغرب ،لكن المتوحشة"نجمة" هي صورة الجزائر العنيفة والممزقة من قبل الشباب والأجداد "[2] فكأن ياسين يريد أن يقول لنا بضرورة التحرر من تحكم الأجداد وصراعاتهم فينا إذا أردنا إنهاء الصراعات الدموية فيما بيننا اليوم.

- ✓ **المضلع النجمي:"Le poly y one étoile"1966م**

"هذا العنوان هو رواية مؤلفة من كلمتين المضلع والنجمي، المضلع الشكل الهندسي معدل للدائرة أو الدائرة نفسها، ويعني هذا المكان الذي يتم فيه إعدام السجناء ويذكرنا بساحة الثكنة التي أعدم فيها أعيان كبلوت،وأما لفظ النجمي فيدل على النجوم الرامزة لرتبة الضابط بعد إدخالهم إلى ساحة الثكنة"[3] ،فهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بروايته الأولى "نجمة" ويعبر عنها كاتب ياسين من خلالها عن عن كثير من مواقفه بعد استعادة الجزائر استقلالها.

- ✓ **الرجل ذو النعل المطاطي:" l'homme au sendales de caoutchou"1970م**

تدور أحداثها حول كفاح الشعب الفيتنامي "الذي قام الاستعمار الفرنسي ،وانتصر عليه في معركة ديان بيان فو بقيادة الجنرال حياب في عام1945م ،هذا الشعب تعرض لعدوان أمريكي في عام 1964م،وتمكن من مقاومة العدوان وصده لأكثر من ثماني سنوات لينتهي بالانسحاب الأمريكي من الفيتنام عام1972م "[4]

وتعد هذه المسرحية آخر ما نشره كاتب ياسين باللغة الفرنسية لأن كل المسرحيات ستأتي بعدها ،مثلت على خشبة المسرح فقط ،" وأصبح يرفض مخاطبة الجمهور باللغة الفرنسية أو اللغة العربية الفصحى ،واكتشف أن الشعب الجزائري في عمومه لا يفهم هاتين اللغتين وأنه يفهم فقط اللهجة العربية الجزائرية ومختلف لهجات اللغة الأمازيغية، ولهذا فضل كتابة مسرحياته وتمثيلها بهذه اللهجات فقط كي يتواصل فقط مع عامة الشعب ،وليس نخبة فقط

---

[1] - بشير بلاح ،المرجع السابق،ص 359.

[2] - عايدة أديب بامية،تطور الأدب القصصي الجزائري (1967-1925) ،تر: محمد صقر،ص69.

[3] - عايدة أديب بامية ،المرجع السابق،ص272.

[4] - بشير بلاح ،المرجع السابق،ص 359.

محدودة"[1]

- ✓ **محمد خذ حقيبتك :"Mohammed prend ta valise"1959م**

" إنّ أول عمل إبداعي انتخبه فرقة " النشاط الثقافي للعمال" وهو مسرحية "محمد خذ حقيبتك" التي تعيد سر قصة الأرض المنزوعة والثقافة المفقودة وتدين فرنسا تارخيا في قضية مأساة اليد العاملة، إنها المأساة بالنسبة للشباب الذين حرموا من أرضهم أرض أجدادهم"[2]

- ✓ **فلسطين المخدوعة:"La Palestine tratti"1959م**

" إذا كان مسرح كاتب ياسين بوجه عام حيل غلى الثقافة الفرنسية التي لم تقف حائلا بينه وبين الروح العربية ،روح الثورة وروح الوطنية ولا بينه وبين إمتاع قارئه بروح الفهم وتدريبه على المعاناة الإيجابية التي تدفعه إلى تغيير الواقع الخاطئ والانطلاق إلى مزيد من الحرية الإنسانية ،فلا يهمه تطهير روح المتفرج بقدر ما يهمه تغيير كيانه"[3]

- ✓ **صوت النساء :"La voixdes femmes" 1972م**

"يدافع من خلالها عن حقوق المرأة ،ويصور اضطهادها في مختلف بلدان العالم ،سواء المتقدم والمتخلف منه،ويدعوها إلى الثورة على الاستغلال والاضطهاد.[4]

- ✓ **حرب الألفي سنة:"La guerre de 2000 ans" 1973م**

" وتدور حول مكافحة الأمازيغ للغزاة عبر التاريخ،وركز على الكاهنة التي لم تفرض الإسلام بصفته دين الإنسانية ،بل رفضت سيطرت الأمويين العرب الذين حرفوا الإسلام عن حقيقته ،ويستغلونه لفرض سيطرتهم على الشعوب وهو نفس الأسلوب الذي يستخدمه بعض دعاة العروبة اليوم بهدف مسخ هوية الشعوب ،وأصبحوا يخلطون عمدا بين الدفاع عن الهوية الأصلية والعداء للإسلام ويتهمون ظلما وبهتانا كل من يدافع عن هويته الغير عربية وقد وقع ذلك لكاتب ياسين نفسه،كذلك مولود معمري وغيرهم"[5]

---

[1] - بشير بلاح ،المرجع السابق،ص 359.

[2] - عمر مختار شعلال،المرجع السابق،ص 98.

[3] - عبد العزيز شرف ،المرجع السابق،ص 144.

[4] - بشير بلاح ،المرجع السابق،ص360

[5] - المرجع نفسه، ص360-361.

✓ **ملك الغرب:"Le roi de l'oest"1977م**

تدور أحداث هذه المسرحية "حول الإستغلال الغربي أي الأوروبي والأمريكي للعالم بخاصة العالم المتحرر من الاستعمار ،وقد قدمها كاتب ياسين للتلفزيون الجزائري كي يقدمها للمشاهدين ،لكنه رفضها لان أفكار كاتب ياسين تقلق النظام الجزائري رغم تغنيه آنذاك مكافحة الإمبريالية الأمريكية والاستعمار الأوروبي"[1]

2- نجمة الأسطورة والرمز :

- ملخص مضمون الرواية :

- لقد ترك كاتب ياسين رواية "نجمة " بالإضافة إلى بعض الأشعار والعديد من المسرحيات التي يتناول فيها قضايا وطنه الجزائر وقضايا المحرومين في العالم ومسألة الهوية والشخصية الجزائرية.

- نجمة بعد 58 سنة عن صدورها بالفرنسية سنة 1956 ما تزال هذه الرواية متجددة مثيرة الكثير من الأسئلة عن الثورة والتمرد والهوية والتركيبة الاجتماعية والحب والبغض والجنون نعن الجزائر التي تظل نجمته الأثيرة.

- يرسم ياسين في روايته وجوها مختلفة للحب" يأسطر" محبوبته ،لا يحاول إصباغ صفات القداسة عليها ولا تنزيهها من الأخطاء والشوائب ،بل تراه يذكر بعض صفاتها الأخرى،تلك التي تجعل منها أسطورة شخصية تختزل التقديس دون ان تكون مظهرة من التدنيس أيضا"[2]

- المراد و المشتهى:

من هي نجمة...؟ هل قدّم ياسين عبرها الصورة الملعونة أو المعظمة...؟ هل حقا امرأة أحبها الكاتب أم إنها جزائره الخاصة التي يرسمها في مخيلته...؟ ألا تجسيد نجمة سؤال الهوية والوجود بالموازاة مع صحراء العدم...؟ هل كانت صورة الضحية في هيئة جلاد أم أنها رهينة الجهل والتخلف واللامبالاة...؟[3]

نجمة تبرز من بين معظم المحاولات والتجارب وبالرغم من كل هذا من تمزقات "تبرز دليلا يقينا على أن الرواية الجزائرية قد ولدت ، وما جراحها إلا جراح الجزائر وعذاباتها

---

[1] - بشير بلاح،المرجع السابق،ص 361.

[2] - بشير بلاح،المرجع نفسه،ص 357.

[3] - كاتب يايسن "نجمة"،تر: سعيد بوطاجين،الإصدار عن منشورات صقاف،بدون طبعة،بدون سنة،ص100.

،تعد "نجمة" من أعظم منجزات الأدب الجزائري الحديث،كما يذهب النقاد الغربيون والعرب على السواء"[1]،وتتبع أهميتها في تقديرنا من أنها تجسيم بالحجم الطبيعي لرحلة العذاب التي خاضها كاتبها ووطنه جميعا ،أنها تجسيد شكلا ومضمونا كافة مراحل التطور ومختلف أشكال التناقضات واتجاهات الصراع ونتائجه التي انتهت إليها الرحلة الدامية :"لقد حققت درجة عالية من الوحدة الديناميكية في العمل الفني ،حتى أصبح من الصعب تصنيفها إلى شكل ومضمون ،كما أنها حققت درجة عالية من روح الخلق حتى أصبح من العسير تصنيفها إلى خيال وواقع"[2]

- لقد تبنى كاتب ياسين موقفا متميزا في كتاباته فهو يبحث عن الموطن الأم مشخصا إياه في شخص امرأة يسميها "نجمة"وتصبح الجزائر حقيقة مجسدة وتكون نجمة بمثابة روح البلاد التي تسري والحادثة التي أثرت تأثيرا بالغا على أعمال ياسين الأدبية هي مذابح سطيف،"وكانت الكتابة هي الأسلوب النضالي الذي اختاره في نصرة القضية الجزائرية، وتعتبر الجزائر بالنسبة للكاتب الينبوع الثري ،الذي ينصب كمصدر إلهام فقد تناول تاريخها في أثناء الإحتلالين التركي والفرنسي ،منشغلا دائما بوجود الوطن وبقائه"[3]

- "والشكل الفني في "نجمة" قريب غاية القرب من الفن التشكيلي ،في أحداث مراجله إذ هي تبدو كلوحة تجريدية ،وبالتالي تخلو من البناء الكلاسيكي في أية صورة من صوره[4] بحيث يجتمع الماضي والحاضر والمستقبل في "نجمة" اجتماعا حيا مشخصا مائلا، لذلك فهي قد تتشابه مع قصة "الصخب والعنف" لفوكتير، أو قد تتشابه مع " رباعية الاسكندرية" للورانس داريل ،هذا التجديد في بناء الرواية الحديثة ،تتشابه"نجمة" مع هذه الأعمال في انتساب الزمن إلى التكوين الداخلي للشخصية ،تجسيد تجربة بدايتها تمتد إلى الماضي السحيق ،وتمتد نهايتها إلى المستقبل البعيد.[5]

تشكل "نجمة" البطلة المحورية ،فهي ابنة الجميع وعشيقة الكل" هي روح الجزائر الممزقة من البداية والمهددة بمختلف التوترات والتمزقات الداخلية "كما وصفها كاتب ياسين في بعض تصريحاته"

---

[1] - كاتب ياسين،المرجع السابق،ص 101.

[2] - المرجع نفسه،ص 115.

[3] - المرجع نفسه،ص 116.

[4] - كاتب ياسين،"نجمة" تر: محمد قويعة،دار سراس للنشر، تونس،1984 نص 56.

[5] - المرجع نفسه،ص 51-52.

هذه الروح هي الثورة والثورة هي التجربة التي امتصت زمانها الخاص على نحو شديد التعقيد من الماضي والحاضر والمستقبل"[1]

-" لقد قسم كاتب ياسين روايته "نجمة" إلى سبعة فصول وكل فصل إلى عدة أقسام متفاوتة الطول فمثلا الفصل الثالث قسمه إلى 12 قسما والفصل الخامس إلى 11 قسما والفصل السادس إلى 12 قسما والفصل السابع إلى 12 قسما"[2]

فيبدو بعضهما مكتوبا بطريقة ممسرحة حيث الجمل القصيرة المعبرة والتتابع والتعاقب ،وسرعة الانتقال والتبدل ،في حين يحضر في بعضها الآخر انشغال على السرد وتهجينه بالشعر ،وبث المناجيات ذات الدلالات الواقعية والإشارات المنطلقة في أكثر من اتجاه.

" يظهر ياسين الفنون في روايته إذ يوظف الشعر والمسرح والدراما والموسيقى والتشكيل بالإضافة إلى التاريخ والجغرافيا والأنساب ليحبك الأحداث ،ويوظف المعارف ويخلق عوامله الفريدة"[3] التي تكون مزيجا من واقع وحلم وأقل ،وإن كان عبّر فصول صاخبة ،هادرة ومتمردة ،مطعّمة بالعبرة والإيلام معا.

- لقد قلنا أنها رواية يخلط فيها الواقع المعيشي لشعب الجزائري وصراعه مع العنصرية والاستغلال الأوروبي ،أثناء الاحتلال الفرنسي ،وبالضبط بعد مجازر 8 ماي 1945 ،" وتروي هذه الرواية أربعة أصدقاء ،وهم لخضر ورشيد ومصطفى ومراد ،الذين وقعوا كلهم في حب فتاة غامضة تدعى نجمة ،لكنها تزوجت من شاب آخر يدعى كمال ،فشرع كل واحد من هؤلاء الشباب يسعى لاكتشاف سر هذه الفتاة الغامضة "[4] ليكتشفوا أنها بنت إحدى الفرنسيات التي تزوجت بسي مختار أب الشاب رشيد ،الذي وجد مقتولا في إحدى المغارات ،وبدأ يكتشف سر الفتاة التي تبدو أنها رمز إلى الجزائر،وفي خضم كل هذه الأحداث يبرز لنا كاتب ياسين حياة هؤلاء الشباب وتنقلاتهم وأفكارهم الوطنية ،حيث طرد لخضر ومصطفى من المدرسة بعد مشاركتهم في مظاهرات 8 ماي 1945 ،" وكأن ياسين يبين لنا بشكل غير مباشر الظروف التي مهدت للثورة المسلحة في ليلة أول نوفمبر عام 1945 كما يلاحظ أن الرواية مرتبطة نوعا ما بحياة كاتب ياسين ذاته ،لأنه هو طرد من المدرسة أيضا بسبب مشاركته في مظاهرات 8 ماي 1945 ، كما يتحدث بإسهام عن قبيلة كلوت

---

[1] - كاتب ياسين،المرجع السابق ،ص 53.

[2] - ينظر بشير بلاح،المرجع السابق ،ص 360.

[3] - المرجع نفسه ،ص 360.

[4] - المرجع نفسه،ص 361.

التي تنحدر منها الفتاة نجمة"[1] ،وتعتبر هذه القبيلة الأمازيغية الموجودة في حدود مدينة قالمة هي نفس القبيلة التي ينحدر منها صاحب الرواية كاتب ياسين.

- وفي مصر آخر تدور أحداث الرواية " بهروب البطل لخضر من السجن وعدم اكتراثه بما قد يتعرض له من ملاحقته ومحاسبة ومحاكمة ،لأنه يكون مسكونا بهاجس أكبر وأهم ويتحكم به ويقوده إلى غده ،نابشا طيات ماضيه ،باحثا عن تلك التي سلبت الألباب والقلوب ،عن "نجمة" التي تكون المراد والمشتهى ،المرأة التي تأسر عشاقها ولا تسلم نفسها لأحد"[2]

فبصفة شباب (مراد ،لخضر ، رشيد،مصطفى) "تجمعهم روابط الدم ،تتقاطع دروب حياتهم وهم يدورون في دائرة الهوية والجذور والأحلام معا،مع ّأن كل واحد منهم يحاول أن يختط لنفسه سبيله الخاص وسط العام الماضي والواقع والمستقبل يجدون بعض العزاء والمواساة في الهروب إلى عالم الكحول والحشيش ،لكنهم يظلون متشبثين بحملهم الذي يقض مضاجعهم ويدفعهم إلى أقصى درجات التمرد والثورة"[3]

فنجمة تكون ابنة امرأة فرنسية يهودية يتم اغتصابها من قبل أحدهم ،ويظل الشك يحوم حول شخصيتها لتي ظل مجهولة ،"وبحار أبطال الرواية من منهم يكون أخاها،وتراهم يغرمون بها كنموذج للمرأة المشتهاة ،لكنها تظل عصية على التقييد ،ويأتي اختطافها من قبل زنجي يدخلها في نساء القبيلة "كبلوت" كتحصين من جهة و إبعاد من جهة ثانية"[4] مع ما يوحي به من فشل في إقامة علاقة سليمة بعيدا عن سفاح العربي وما قدي يخلفه من تشوهات نفسية وجسدية.

" إن شخصيات الرواية تعكس وجوه البلاد ،سواء من جهة الشباب الثائر ،أو المحطم أو المتوجه إلى هاوية اليأس ،وكل شخصية بدورها تكون مرآة للأخرى ،تراها تتكامل لترسم خريطة بلاد يتناهبها الاستعمار ،ويحرص على إدامة تأليب أهلها ضد بعضهم بعضا مستخدما أدواته للهدم والتدمير وحلق نماذج بحسب رغبته ومشيئته وتخطيطه"[5]

" الجزائر بجميع مكوناتها ،بعطائها وجمالها وتنوعها ،تكون النجمة التي يهيم بها عشاقها،لا يقدرونها حق قدرها،لذلك يتخبطون في قواقع مقيدة،فتستعد النجمة وقد تنتقل من حضن إلى

[1] - كاتب ياسين،المرجع السابق،ص 363.

[2] - المرجع نفسه ،ص 120.

[3] - المرجع نفسه ،ص 123.

[4] - ينظر:كاتب ياسين،نجمة،تر محمد قويعة،ص55.

[5] - المرجع نفسه،ص 55.

حضن ،سواء من محتل مستعمر،أو من مستعمر إلى مستبد هكذا يكون تحذير ياسين بمثابة صرخة روائية مدوية في فضاء الواقع والتاريخ والمستقبل"[1]

- الأحلام والآلام:

يستحوذ البحث عن الهوية الوطنية على اهتمام ياسين الذي كتب بالفرنسية التي عدّها غنيمة حرب"، وتفوق بها محققا انجازات لافتة في عالم الأدب، وأوصل رسائله إلى الآخرين ،يرنو ياسين إلى الجزائر التي تكون حلمه الأعظم،ولا يتغاضى عن الكوابيس الواقعية ،يشير إلى الآلام،الدواء ،يشخص العلل روائيا وأدبيا ،ويوجب استنفار ،القوى للحيلولة دون التخبط في مستنقعات اليأس والضياع ،فلا يمكن لأي دارس إعقال السياق التاريخي الذي كتب فيه ياسين "نجمة" ولاسيما حال الثورة الجزائرية المستمرة حينذاك ،والتضحيات الكثيرة التي كانت تقدمها ،وواقع التشرد والجردة لديه،واستغتابه لسنوات عليها[2] مع ما يرافقه من تغيرات عالمية كبيرة كان لها تأثير واسع على بلاده ،ومن هنا تنفتح الرواية على أبعاد تاريخية ،لكن بطريقة لماحة، بعيدة عن المباشرة بالتسجيل .

" لا ينقل ياسين القتل الذي كان المستعمر يمارسه بشكل مباشر ،بل صور تداعياته ومخلفاته بخاصة التشويه الذي طال البشر والمدن وهدد بتفتيت التركيبة الاجتماعية،بحيث أن أثار المستعمر الإجرامية تجلت في كثير من التفاصيل الحياتية،وكأن حالة السفاح تعممت لتنخر بنية المجتمع وتنفسها،وتكون الرواية بالنسبة إليه وسيلة مقاومة ومجابهة وصمود وتحد، لاسيما من خلال الإخلاص للقيم الوطنية ،والتشبث بالحلم ببلاد تليق بتضحيات أبنائها.[3]

3- ملف الشواهد:

1- نقاط التلاقي بين الأدب الفرنسي وأدب كاتب ياسين:

1- مطالعته الأدب الفرنسي:

- إن أعمق ما تأثر به حياة ياسين الأولى ،هو حدث اعتقاله إثر مظاهرات الثامن مايو المعادية للاستعمار، حيث بسبب ذلك من المدرسة،لكن الطريف في الأمر أنه استنبط حقيقة انه "لم يخلق للدراسة في المدارس وأن هواه الأول أن يفرض الشعر"[4]

---

[1] - كاتب ياسين ،المرجع السابق،ص 126.

[2] - المرجع نفسه،ص 58.

[3] - المرجع نفسه،ص130.

[4] - عبد العزيز شرف ،المرجع السابق،ص 72.

ومفتاحه إلى طريق النظم الشعري هو مطالعته لإعلام الأدب الفرنسي وإعلام الآداب الأخرى ،وفعلا انتهى به الأمر غلى السير على درب هؤلاء الذين اختارهم كمصدر إلهامه الوحيد ،وبعد أيام عرف ديوانه "مناجاة" طريقه إل النور،وهي مناجاة تحتفي باسمي المشاعر التي تعكس بوتقتها الأولى والأخيرة "بودلير" يقول عمر مختار شعلال "باني بولديروميسي، ولا سيما الشاعر الأول الذي قرأه ياسين بشغف لإتمام تربية فكرية تأكدت مع ديوان مناجاة"[1] وأفتق الكاتب نماذج هؤلاء المبدعين الذين ابتكروا وطوروا واجتهدوا وتألقوا، وما لبث شعرهم الرومانسي هذا الوافد الأجنبي أن تعرب وتجزأر،ثم تحول إلى فن جزائري بفضل أنامل كاتب ياسين ف"ياسين كان ينتمي إلى كل الأزمان ،كان ينتمي إلى الشعر الجاهلي ،وإلى الفلاسفة العرب الكبار وإلى المغنيين الكبار وإلى شعراء العالم الكبار أمثال بابلونيرودا و أراغون أوبودلير،ألفريد جاري،و لتريامون لم كونوا بالنسبة إليه شعراء متوفين ،بل رفقاء دائمين[2]،وتبنى ياسين موقفا متميزا في كتاباته، ولاسيما حين أدمج الروح الشرقية في اللغة الفرنسية مستبقا مادته الأولية من بعث أساطير عظماء القرن الثامن عشر الفرنسيين .

2- جاكلين أرنو:

عرفت جاكلين ياسين حينما كانت معلمة بالمغرب وبفضل روايته "نجمة" ،وقررت أن تجري أبحاثا معمقة حول الكاتب ،ف"عملت جاكلين طوال 15 سنة في أطروحة دكتوراه دولة حول كاتب ياسين[3]،وسعت إلى جمع مخطوطاته بعد ما علمت أنه خلف تركات أدبية في كل مكان قصده ،يقول" جاكلين أورنو، جامعية وصديقة منذ زمن طويل أقنعتني بضرورة جمع مقاطع كتابي المنشورة في مختلف المجلات والجرائد وسافرت -فعلا- إلى كل البقاع التي سافر إليها ياسين ،فجاءت إلى أرض أجداده الجزائر نوزارت الفيتنام والاتحاد السوفياتي... لذلك" تعتبر جاكلين من بين أكبر الباحثين حول الأدب المغاربي وكانت وراء تأسيس مركز الأبحاث الفرانكفوني المغاربي، بالتعاون مع باريس 13 ،فيتال يوز و السوريون"

- ولما زارت مدينة سطيف حاولت الاتصال بسعيد بائع الخضروات الذي كان ياسين يستمتع بالجلوس معه في السوق لاحتساء القهوة ،واعتاد أن يكتب أشياء وينساها عنده و"عندما قصدته جاكلين" لم تظفر بشيء كثير، لأن البائع الذي كان يجعل قيمة هذه

[1] - عمر مختار شعلال،المرجع السابق ،ص54.

[2] -المرجع نفسه،ص54.

[3] - كاتب ياسين،المرجع السابق،ص 118.

المخطوطات ،كان يستعملها في لف الخضروات التي كان يبيعها للزبائن[1] والطريف في الأمر أن الباحثة فارقت الحياة بين يدي ياسين الرجل الذي أعجبت بأعماله، ومع مرور الأيام قاسمته الألفة ومشاعر الصداقة "واعتبرتها أونيسة كاتب واحدة من أفراد العائلة حيث ذكرت أنها كانت بمثابة أخت لهم"[2]

3) الكاتب الفرنسي لويس راغون:"louis Aragon"

- ازدهرت الثقافة الفرنسية في الخمسينات وهو زمن كانت الجزائر فيه غارقة في ظلمات الاستعمار وخاصة إذا علمنا أن اللغة الفرنسية قد أصبحت آنذاك مركز إشعاع حضاري يستقطب اهتمام معظم المبدعين الجزائريين الذين كانوا إلى صلة بها،أما عن طريق المدرسة الفرنسية ،و إما عن طريق الاطلاع على الكتاب الفرنسية ،أو بالسفراء فرنسا والتعايش مع حضاراتها .

واتصال كاتب ياسين باللغة الفرنسية تم عبر الطرق الثلاثة ،إذ تعود تلك اللغة إثر تتلمذه المباشر على يد صناع الثقافة الكولونيالية منذ الصغر، واهتمامه بالشعراء الكبار وقراءة كتبهم ،ثم زار البلد الأصل لهذه اللغة-فرنسا- وعمره لا يتجاوز 18 عاما فتعلم هناك أسسها الأولى التي سيبني عليها حياته الأدبية الفرانكفونية المقبلة ففي عام 1950م حضر بشير حاج علي رفقة عمر مختار شعلال مؤتمرا للمثقفين بباريس ،و أخذا معهما جزءا من مخطوطات ياسين التي سلمها للكاتب الفرنسي لويس أراغون فور لقائهما به،إذا ما كانت صالحة للنشر.

وفي صباح اليوم الموالي ،جاؤوا لملاقاة أراغون الذي رفع ذراعيه قائلا" رفاقي الأعزاء ،إن عندكم عبقري، سيكون كاتبا كبيرا في المستقبل سيتحدث عنه العالم ، أؤكد لكم إشعار هذا الشاب تشي بموهبة كبيرة جدا ،الدليل على ما أقوله أنني في الأسبوع سأخصص عددا خاصا من جريدتي للنصوص التي أعطيتماها لي" [3]،و أصبح الحلم حقيقة مجسدة على أرض الواقع ،لأن جريدة "الآداب الفرنسية" خصصت عددا خاصا للكاتب ياسين.

4) الرئيس الفرنسي "ميتران":

- استدعى الرئيس الفرنسي "ميتران" كاتب ياسين غلى قصر الإيليزي ينة 1986م فرض كاتب التنقل إلى هناك كعادته لكونه يرفض ذو النفوذ والسلطة ،زد على ذلك كون ميتران

---

[1] - عمر مختار شعلال،المرجع السابق،ص 118.

[2] - المرجع نفسه،ص 117.

[3] - المرجع نفسه ،ص 60.

فاشيا وهو يرفض الفاشية رفضا قاطعا وحسب قوله " الفاشية أسوء من الديكتاتورية لأنهما لا تمنع القول بل تجبر على القول"[1]

- وبعد طول تفكير قرر أن يذهب بملابسه العادية ،لأنه يمتنع عن ارتداء الزي الرسمي المناسبي، ف "انبهر الرئيس ميتران بهذه العلاقة المباشرة ،وعند الخروج من المكتب الرئاسي ،دعا ياسين شخصيا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في إقامته بلاتشي بمنطقة اللاند"[2] ،ولكن ياسين لم يذهب إلى هناك إطلاقا.

5) التلفزيون الفرنسي:

- لجأ التلفزيون الفرنسي إلى الشاب ياسين الذي لم يكن عمره يتجاوز 27 سنة 1965م ليستنشق منه رأيه فيما يخص أشكال التعبير الأدبي في الجزائر، فلم يبخل كاتب أبدا بتوضيح وجهته النقدية بكل شفافية إزاء مسائل الوطن السياسية بفضل مكتسبات تجربة مايو 1945م وخبرة جريدة " الجزائر الجمهورية"

ولعل ما استرعى انتباه المستجوب أثناء الجلسة ،هو لجوء القراء في فرنسا غلى كل ما يكتبه الشباب المعبرون باللغة الفرنسية ،وأهم تلك الأعمال التي تصل إلى الجمهور الفرنسي على مدى واسع هي أعمال محمد ديب في الرواية الواقعية أما ياسين ككاتب ومعبر باللغة الفرنسية فهو يرى أن ذلك الأمر بديهي ،وعلى وجه التحديد في ظل الفاجعة الاستعمارية [3]، تبقى تلك الطريقة الأمثل لقبول علاقات ثقافية حقيقية بين فرنسا والجزائر ،ويشير إلى ان الطاهرة تكاد تكون فريدة في الأدب الجزائري بقوله" يحدث في اللغة الفرنسية أننا نعبر عن روح البلد ،فبهذه اللغة نعبر عن ظاهرة تبدو ان لا صلة لها باللغة الفرنسية ،لا يمكن الحديث هنا عن الترجمة وبصيغة أوضح فالمسألة على أعقد من هذا .فمن جهتي على سبيل المثال إنما يتم في لغتي الأم العربية باعتبار أنها اللغة التي تحدثت بها عندما كنت طفلا واللغة التي تركت بصمتها في ،فحينئذ هناك عمل ما يحدث في الأعماق وانطلاقا من المخزون في المادة الأدبية في اتجاه التبلور باللغة الفرنسية، أي أن اللغة الفرنسية تمنح كاتب التعبير وبامتياز عن أشياء التي كانت ستبقى دونها حبيسة المجال الباطني.

[1] - عمر مختار شعلال،المرجع السابق،ص 78.

[2] - المرجع نفسه،ص 128.

[3] -المرجع نفسه،ص82.

4) تجليات أثر الأدب الفرنسي في نجمة كاتب ياسين:

- يهدف تحليلنا لرواية "نجمة" إلى الكشف عن ملامح الفرنسي باعتبار أن هدفنا الشامل هو الوقوف على المؤثرات الفرنسية في نسيج خطاب كاتب ياسين الروائي لان المحتل فرض نفسه ونفذ مشاريعه انطلاقا من تسليط لغته في مختلف المدارس، ولعل " إقبال القلة من المغاربة على تعلم الفرنسية يرجع إدراكهم مدى الفوائد التي سيجنونها بتعلمهم أو تعلم أولادهم ،وبمرور الزمن وانتشار الوعي ،لم تعد الفرنسية الوسيلة للفوائد المادية فحسب بل وسيلة للدفاع عن الحقوق أيضا"[1]،فاستفاد الجزائريون وبقية المغاربة أيضا من هذه اللغة ،ومارسوا عادات لم تكن معروفة لديهم ،كما تاثروا بالغ التأثر بشخصية الفرنسي مما جعلهم يقلدونه في كلامه وملبسه ومسكنه، أو يواجهون وجوده، وكاتب ياسين يبدأ بالحديث عن الفرنسي بدءا من الصفحات الأولى ،حيث يتصور الأحداث في مجملها واقع البلاد أثناء الاستعمار،ولا يخفى على احد أن الاستعمار الفرنسي طمس كل ما هو جزائري ينم عن الانتماء إلى الثقافة العربية والشخصية الإسلامية.

أ) الرجل الفرنسي:

1- رب العمل:

أولت الرواية فائق عنايتها لعراك السيد ارنست مع الأخضر في الحظيرة ،إ،إذ تطرقت إليه في بدايتها أيضا ،ويتلخص هذا في تلقي الأخضر لضربة في رأسه من السيد ارنست أسالت دمه "ضرب السيد ارنست الأخضر على رأسه بمتر كان بيده - تدفق الدم"[2] علما أن الأخضر كان منهمكا في عمله بالحظيرة ،وقد باغت هذا الحدث العمال، فتوقفوا عن أعمالهم مدة ،وراحوا يتابعون تطوراته دون أن يعرفوا ماذا ينبغي عليهم فعله بالضبط ،وبعد لحظات تصل سوزي إلى الحظيرة ومعها طعام الغذاء لأبيها فتقف حائرة تبحث عن جواب يخرجها من صدمة ما ترى ،وبعد أن يكمل السيد ارنست غذاءه يقترب من الأخضر وقد ازداد حنقه وهياجه، فيرمي المتزامن بيده استعدادا للاشتباك معه ولكن الأخضر فاجأه بضربة من رأسه فتحت قوس حاجبه ،فسقط أرضا وسال دمه على وجهه وثيابه، وجرن ابنته وأحضرت رجال الدرك فاقتادوا الأخضر إلى السجن.[3]

ويستوقفنا في هذا المشهد رد فعل الأخضر،الذي ينتقم لكرامته ،ويعاقب رب العمل الفرنسي على افتقاره له واستصغاره لشأنه، فالسيد ارنست معروف بجبنه وحقده على الأهالي ،زيادة

---

[1] - عبد المجيد حنون ،صورة الفرنسي في الرواية المغربية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1988،ص49.

[2] - كاتب ياسين،المرجع السابق،ص48.

[3] - ينظر المرجع نفسه،ص 50-51.

على استيلائه على الأراضي ،لأنه يراها الوسيلة الوحيدة يضغط بها على العمال الجزائريين، إن ارنست لص محترم "جمع المال الطي اشترى به المنزل الضخم أثناء وجوده بالجيش"[1]،ذاك هو رئيس العمل الدائم الحذر من العمال، لا يتخلى عن مراقبتهم خفية وإزعاجهم،ولذلك يحذرون منه ولا يثقون في كلامه أو وعوده، وكلما حان وقت الغذاء تزيد حدته مع العمال ،ولا شك أن قلقه نابع من خوفه من حقد العمال، أو خشية ابنته -الشابة الجذابة- التي تحضر له الأكل كل يوم"انتزع السيد ارنست السلة من يدي ابنته دون أن ينبس بكلمة ونزل إلى الخندق أتخذ له مكانا فيه، وأخذ طعام الغذاء من السلة: كان مكونا من لحم ممزوج بالقنيط في قدر، ومن قارورة خمر وحبات برتقال، طفق يأكل وهو يسترق النظر مراقبا"[2]

أما المقاول ريكارد ،فهو صاحب الشركات والمزارع والمتاجر والحافلات ،والإنسان الحريص جدا على مواعيد عمله اليومية، فكل يوم يكون وراءه عجلة قيادة حافلته في الساعة السابعة" ،وقد اتخذ ستون فقيرا معدما لهم فيها مكانا وسط سحابة من الدخان كان كل المسافرين يعرفون من هو السيد ريكارد ،ولم يكن أحد يتوجه إليه بكلمة،والحق أنهم لم يكونوا يتوانون في شتمه شتما مقذعا طوال السفرة ولكن بصوت خافت"[3] ،غير أنه لا يولي هذا الأمر أهمية لأنه يتلذذ بسماع الشتائم وإشعال حقد العرب وعندما يصل المدينة يحس بالقهر ،فهو لا ينظر إلى واجهتها ،بل يتوجه مباشرة إلى الحانة التي لا يعرفه فيها أحد ،وهناك تحرجه النادلة بسؤال خبيث:"متى نحتفل...فينظر إليها ريكار قائلا" لعل الخبيثة تعتقد أنني غير قادر على أن أجد زوجة لي، وهو زعم باطل يروجه اليهود والعرب علي ،هم يعرفون جيدا أنني تزوجت قبل ان يولدوا هم وبالمراسلة فوق ذلك، وهو أمر يعجزون عن تصوره"[4]، وقد ارتبط دخوله عالم الرواية بالحديث عن أصل المتواضع ووفاة والديه" كانت أمتعة السيد ريكارد وصلت إلى القرية في عربة رأى فيها أوائل المعمرين السيد

ريكارد كالباز في قفص...وكانت أم السيد ريكارد قد ماتت وهي تضعه أثناء تنقلها بين المستوطنين ،ولم يلبث الزوج النكد الحظ أن لحق بها وقد أرهقه الجهد وأضناه"[5]

[1] - كاتب ياسين،المرجع السابق،ص 46.

[2] - المرجع نفسه،ص49.

[3] -المرجع نفسه ،ص 9.

[4] - كاتب ياسين،المرجع السابق،ص10

[5] - المرجع نفسه،ص 12.

- أما مشهد موت الأم عند الوضع فلا يخلو بدوره من الآلام والجراح والدماء،ويقترب كثيرا من حادثة وفاة زوجة السيد ريكارد الأولى، فيلحق بها فيما بعد ابنهما الوحيد ،"والمرأة التي تزوجها عن طريق وكالة ريجات... فإنها تبخرت كحلم من أحلام العظمة، دون خلاق ولا جنازة، بل إن الظن ليذهبن بالناس إلى أن السيد ريكارد قد أوغل في الشعور بأهمية ذاته إلى حد أنه لم يخلف غير ذلك الغبن الوحيد الذي فقده بين الحربين، ويبدو انه فقد حتى ذكراه"[1]

2) رجل التعليم:

- بعدما وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائريين ضربوا القيم العلمية والخلقية والتربوية عرض الحائط،وحاولوا التأثير على التلاميذ باسم السلطة ورغبة منهم في تكوين جيل الإتباع المخدوعين، لا تهمه منفعة البلاد بقدر ما يهمه تحصيل المعلومات لصالح فرنسا ويعرض كاتب ياسين صورة للأستاذ الفرنسي هو السيد "تومبل" "عميد الأساتذة وعضو مجلس التأديب ،كان صوته قويا يبعث الرعب في النفوس وكان يصر على أن يحفظ التلاميذ دروسه حرفيا ،ولم يكن درسا قام به قبل ولا كان يتراجع عن عقوبته غير لها ببعض التلاميذ، ولا كان يتبسط في الحديث مع سائر الأساتذة، ولم نكن نلتقي به في شوارع سطيف"[2] ،إنه أستاذ جاد جدا ،لا يقبل أخذا ولا ردا وكأنه خال من العواطف الصارمة ،التي اتضحت في الجمل القصيرة ،والحادة النبرات ،التي رسم بها الروائي شخصيته.

3) الجندي:

عرف الجزائريون الوجود العسكري الفرنسي أثناء فترة الاحتلال ،أما باحتكاك الشباب الجزائري به إبان فترة التجنيد الإجباري،وأما أثناء تواجدهم في غياهب السجون كما هو حال الأخضر - طالب بالثانوية - ألقي عليه القبض عقب حوادث 8 ماي 1945م ،وتعرف على ضابط فرنسي أعجب به،إنه رجل قوي من شمال فرنسا بشوارب صهباء ،يشرب باستمرار من مطرته (La gourde) المعلقة في حزامه أثناء الحراسة ،ولم يضرب أحدا من المساجين /فقد كان رجلا بحق، وعندما ذكره الأخضر بذلك اشمأز قائلا:"آه ،لا تحدثني عن ذلك"[3]

ولذلك أصر الأخضر على دفع حساب الخمر التي شرباها معا في الخمارة ،وأثناء حديثهما تذكر ظروف اعتقاله في شهر رمضان قائلا:"أتعلم أن المرة الثانية التي أشرب فيها الخمر

---

[1] - كاتب ياسن،المرجع السابق،ص 13.

[2] - المرجع نفسه،ص 230.

[3] - المرجع نفسه ،ص62.

في حياتي"[1] فأبدى الضابط تعجبه من كلامه ومن الأهالي، لكون جلهم يشرب الخمر، ومع ذلك يصلون صلوات عجيبة ،وكأنها حركات رياضية بطيئة يعرضها شريط سينمائي ،مما أثار غضب الأخضر ،ولكن الضابط برر رأيه بالأخضر "لم اقصد النيل بشيء من الحديث عن صلواتكم ،لكن أن تعرجوا في برانسكم الملائكية إن كان يروق لكم أن تقوموا برياضتكم الإلهية،أما أنا فإني من شمال فرنسا ،والمسجد والكنية عندي سيان ولست أجهد نفسي بمثل هذه الأمور ،إذ أني من منطقة تسكنها البوليتاريا"[2]،إنه لا يطيق التجنيد إطلاقا ،بل يكرهه ،لأنه يرى بعينيه ما فعله"الشلوح" في بلده أثناء الحرب العالمية الثانية" الشلوح،أي البوش،أعني الألمان"[3] ،وعلى دم الأخضر عند سماعه كلمة "الشلوح"*،وكيف لا ينتاب الأخضر الغضب،وهذا الضابط الذي أعجب به يحتقر المغاربة الذين حاربوا معهم في الصفوف الأمامية،ويطلق عليهم ألفاظا سوقية عنصرية ،غير ان الضابط لم يكترث كثيرا لثورة الأخضر ونصحه قائلا" ليس في الأمر ما يدعو للغضب"[4]،وهذا الكلام يدل على أن هذا الفرنسي المتين البنية الأصهب الشوارب الذي يشرب الخمر كثيرا ويكره الحرب ،لا يهتم بأي دين جفو من الطبقة العاملة المرتكز همها على النجاة من مشاكلها ولذلك السبب لا يضرب أحدا من المساجين، بل يتضمر من تذكر أعمالهم، ويعتبر نفسه أرقى من المغاربة الشلوح ،إنه عنصري لا ينم عن انتمائه البروليتاري.

والتقى الأخضر في موضع آخر من الرواية ببحار فرنسي في مقصورة من الدرجة الثالثة في قطار ولما هم قروي جزائري بالنزول بمعية زوجته، ساعده البحار على جمع أمتعته،فتعجب الأخضر من تصرفاته:"...لقد بين يوم 8 ماي أن لطف هذا البحار قد ينقلب قسوة ،فهم يبدؤوه دوما بإظهار الدماثة في الأخلاق واللين والتعطف... ماذا يفعل هذا البحار بلهجته المرسيلية ،في قطار جزائري؟ فالقطار-بالطبع- من فرنسا"[5]

[1]-كاتب ياسين،المرجع السابق ،ص62.

[2] - المرجع نفسه ،ص نفسها.

[3] - المرجع نفسه،ص 63.

[4] - المرجع نفسه،ص نفسها.

* الشلوح- مجموعة من البرابرة ،يعيشون في جبال المغرب الأقصى جندتهم فرنسا في صفوفها بالقوة مع بقية إخوانهم المغاربة.

[5] - كاتب ياسين ،المرجع السابق،ص61.

وسحب البحار عليه السجائر مقدما إياها للفلاح ثم للأخضر، فزاد تعجب الأخضر من طبيعة هذا البحار :"لم كل هذا اللطف؟لعلهم يريدون بذلك أن ننسى جرائمهم"[1] ،وبسرعة طرد الأخضر هذه الفكرة، مفكرا أنه قد يكون طيبا، بائسا،لبن بائس،وظل متأكدا أنه سيصاب بالعدوى كغيره ،لأن الطيبة ترسم على بعض الفرنسيين لكن سرعان ما تختفي.

4) رجل الأمن:

- احتك الجزائريون بسلطة الجهاز الاستعماري المباشرة، وانعكس ذلك الاحتكاك في الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ،فورد طاقم الشرطة بمختلف فئاته ودرجاته ومفتش كاتب ياسين حاد المزاج، يتعامل مع الأخضر -طالب الثانوية الذي شارك في مظاهرات 8 ماي 1945 ب شراسة بعد إيقافه،" استسلم الأخضر ،فقيد المفتشون يديه ورجليه، ثم اثبتوا القيدين بعصا طويلة أفضت إلى شله عن كل حركة، ثم اخذوا سجينهم من وسطه والقوا به في حوض الماء انسلخ كتف الأخضر الأيسر وتمكن -رغم استحالة الحركة عليه من إلقاء نصف جسده خارج الماء وقد اتخذ شكل زاوية قائمة، ولكن العصا كانت تغز ذقنه، كان الأخضر يضطرب محاولا إخراج رأسه من الماء...ولم يكن قادرا على ألا يشرب، وكان الضابط يزيد من دفق الماء بالتدريج ،وكان الأخضر يتخبط أكثر فأكثر"[2] ثم ينهال عليه بكلمات قاسية المحددة الهدف حتى يدميه ،وعندما تتلطخ يده بالدم تأخذه نوبة عصبية عنيفة جدا فيمسك الأخضر بوجهه بعنف ،صافعا إياه بظهر كفه حتى أغمي عليه ،ولما أفاق الأخضر كان الضابط قد ذهب بمعنى أن الشرطي في رواية "نجمة" لا يعرف إلا الضرب ثم الضرب، وما يتبعه من مختلف طرق التعذيب وكأن الروائي أهمل صفات المفتش الفيزيولوجية، ليؤكد أنه مجرد كتلة أعمال عنيفة.

---

[1] - كاتب ياسن،المرجع السابق،ص 64.

[2] - المرجع نفسه،ص61.

- **جدول مكونات الشخصيات الذكورية:**

الشخصية	صفاتها الفيزيولوجية	صفاتها المعنوية	دورهـــا
رب العمل ارنست	لا شيء	منافق- بخيل- جبان حقود- لص سيء المعاملة.	رئيس العمال بالحظيرة- يعامل العمال بعنف- حذر ويحقد عليهم
المقاول ريكارد	أشيب الرأس	دقيق المواعيد- شحيح جدا- غني جدا- شكاك.	يتزوج من فتاة في عمر أنبته انتقاما من أسرتها الكاثوليكية لانه بروتستانتي.
ضابط الصف	قوي الجسم وأصهب الشوارب	ماركسي-بروليتاري عنصري- ملحد يسخر من الأديان.	يتذمر من الحرب ولا يضرب السجناء لأنه تقدمي يتعاطف مع طبقة العمال.
الشرطي المفتش	لا شيء	عنيف جدا – بذيء متعصب	تنطق بحدة وعنف أو بمختلف وسائل التعذيب.
رجل التعليم	صوته جهوري	قاطع – لا يظلم ولا يعفو – لا يثرثر.	نزيه ومحترف يتعامل مع الطلبة والأساتذة بصرامة.

والمتمعن في هذا المخطط يلاحظ أن كاتب ياسين استبعد عن شخصياته صفاتها

الفيزيولوجية ،لا فيما يتعلق بضابط الصف القوي الجسم والأصهب الشوارب ،أو السيد "تومبل" صاحب الصوت الجهور وما برر تصرفه ذلك انه أراد أن ينوه إلى أن الجزائري قد يكون معجبا ببعض الشخصيات المعنوية ،كنزاهة أو صرامة السيد تومبل أو تعاطف الضابط وترفعه عن ضرب السجناء ،وقد يكون موقف استنكار لصفات أخرى مثل العنف أو الحقد أو العنصرية ومعنى ذلك أن الروائيين المغاربة صوروا الطيب طيبا والشرير شريرا ،ولم يندفعوا وراء عاطفتهم ،بل أعطوا كل فئة حقها"[1] فدور الفرنسي في رواية "نجمة" ،هو امتصاص كل مقومات الشعب الروحية،وتنزيل العذاب،والتنكيل به.

ب- المرأة الفرنسية:

- **صاحبة المحل:**

اتخذت السيدة "مارسيل"Marseille مكانها في الرواية من خلال ذكريات رشيد التي يستحضرها وهو في طريقه إلى فندق "لابراش" labrache فيشوه منظر النساء الجميلات المارات وهن يقطعن الساحة فتتبعت في مخيلته "مارسيل" صاحبة المحل الشهير، ونتعرف عبر حوزه الداخلي على هذه المرأة التي كانت جميلة في شبابها ،عنيفة وبدينة، مارسيل لقد حماها أقبح من في الولاية من الرجال فحصلت على ثروة طيبة ،هي ضخمة كالحبلى ولكنها لم تستطع أبدا أن تلد ،غارقة في السمنة حتى أذنيها ،يغطي جسمها الشعر ،وتنبعث منها رائحة كربور الكالسيوم، كانت ذراعاها المثقلتان بالأساور ترسمان على الجدران رسوما كأشباح الظل الصيني وكان عقناها يبقيان خارج الحق كان قدماها الموحلين لا يطيقان ملمس الخف الناعم كان الرجال يتمنون دوما أن تتدحرج من أعلى السلم فينكسر رأسها، تلك التي لا تحترم الحرج ولا تؤجل الدين[2]، وتبدو الصفات التي ألحقت بمارسيل صفات رجولية لا نسوية ،ونقصد بذلك الحديث عن عدم إنجاب مارسيل، وعن جسمها المغطى بالشعر " هي ضخمة كالحبلى ولكنها لم تستطع الإنجاب غارقة في السمنة" واستطاعت هاته المرأة أن تجمع بين صفات ذكورية وصفات أنثوية وليست رغبة الرجال في سقوط مارسل إلا رغبة في قتل سماتها الرجولية ،ومنها الجسم المغطى بالشعر وغير الصالح لأن يقارن بأجسام النساء الجميلات المارات أمام رشيد وارتأى كاتب ياسين أن أفضل أسلوب لعرض مارسيل،هو السرد التقريري المباشر الواصف لتفاصيل جسمها ،والمثير إلى شخصيتها القوية ،وعدم تفريطها في حقها إلى درجة استغلالها للزبائن .

---

[1] - عبد المجيد حنون ،صورة الفرنسي في الرواية العربية المغاربة

[2] - كاتب ياسين،المرجع السابق،ص 32-33.

- **المعلمة:**

بعد اختلاط الجزائر بالفرنسي في الشارع والمتاجر وفي أماكن أخرى ،بدأ الحاجز بينهما ينهار إلى درجة الأهالي فكروا في إقحام أبنائهم في جو المدارس الفرنسية ومصطفى واحد من أطفال الاهالي نتأثر بنظافة معلمته – الآنسة بول دوباك – وشبه منديلها بكرة الثلج ،وهو تلميذ لم يدخل بعد مرحلة المراهقة " لو مكنتني من شم أظافرها لو استبدلت عرقي بعرقها دوباك بول،كنا نستنشق الهواء ثم نستعيده ثم نصرح فنلقيه أمامنا"[1] وكيف لا يتمنى ذلك وهو يراها أميرة الأحلام ،كما سماها رفاقه الذين يتجسسون عليها في بيتها الضخم ،وعلى الرغم من ذلك لا تكره " دوباك" الأهالي الصغار وتعرف أسماءهم ،غير أنها لا تطيق ملابسهم الممزقة ،وعند سماعها بمرض مصطفى ذهبت لعيادته، يقول في هذا الصدد" كنت قد أبللت من نوبة الملاريا عقبتها نزلة رئوية ولذلك غدوت نحيلا ،جاءت السيدة دوباك تعودني ، كان أبي يستوقفها على العتبة وكانت أمي تنهطي من فراشها وتدفعني سريعا لأتسلق سرير ابي ،قبلتني المعلمة ...ولكن القبلة طردت علي الحمى، ورافقت الآنسة دوباك حتى سطيف" [2]ولم تغضب من والدة مصطفى عندما بللت جواربها نتيجة رميها الماء وراءاهما تيمنا منها لطرد النحس عن ولدها يوم نجاحه في شهادة التعليم الإبتدائي.

- **الفتاة:**

ورد ذكر "سوزي" بنت السيد ارنست ،في موضوعين من الرواية ،ثم في بداية الحديث عن رؤية العمال لسوزي لأول مرة، وحدث ذلك جاءت إلى الحظيرة تحمل الغذاء لأبيها فكان لجمالها الأثر في نفوسهم جميعا " الفتاة على الساعة الحادية عشرة ،تحمل سلة ،سبحان الله ... ! كلها حركات أخاذة تحول الناظر إلى صنم ... إنها تدعى سوزي ،كما لو كانت فنانة !... وابتسمت سوزي ،إن ابتسامتها وحدها بما فيها من نظارة لتنذر بالعاصفة نرغم أن سوزي كانت تجتهد في ألا تثبت بصرها على أي واحد من العمال بوجه خاص"[3] وفور فراغ السيد ارنست من الغذاء طلب من مراد مرافقة ابنته حيث ينظره هناك خشب ليقطعه، ثم يأتي موعد لقاء آخر بين مراد وسوزي في الحقل فقد قامت بجولة في الحقول بين النرجس والأعشاب وفي طريق عودتها التفت بمراد ومشت بجانبه.

---

[1] - كاتب ياسين ،المرجع نفسه،ص 214.

[2] - المرجع نفسه،ص 222.

[3] - المرجع نفسه،ص8.

- الخاتـــــمة:

وبعد تحليلنا لرواية "نجمة" تبين لنا أن كاتب ياسين استطاع أن يقدم روايته هذه وفق ما تمليه عليه قناعته السياسية والاجتماعية والفكرية ،حيث كانت وعاءا صب فيه إيديولوجيته ومواقفه الخاصة وفق لغة الآخر وتقنياته الروائية

وهذه الأسباب وغيرها يمكن أن تحصل نتائج البحث فيما يأتي:

- لقد تمكن الكاتب من إماطة اللثام عن المعاناة التي كان يعيشها الشعب الجزائري في فترة الاحتلال ،وكأن الكتابة في نظره سير للواقع المعاش وتحريك له من اجل تغييره وبث القيم الإنسانية كالحرية ،السلام ،الحب، الكرامة.

- أما شخصيته فكانت في الغالب مستمدة من الواقع يغلب عليه البؤس والشقاء والحرمان من جهة،ويسيطر عليها الآخر العنفواني المخرّب للوطن،والذي أجبرها على محاكاة أساليب حياته ونمط تفكيره.

- وما هذه الدراسة إلا خطوة أولية من خطوات التحليل المقارن ،إذ أن موضوع مثل التأثيرات يتطلب أكثر مجهود حتى تتمكن من إيجاد الأدوات التحليلية الناجعة لسد ثغرات التحليل.

قـــائمة المراجـــع:

1- المصـــادر:

- كاتب ياسين ،نجمة ،تر:محمد قويعة ،دار سراس للنشر،تونس 1948.
- كاتب ياسين ،نجمة،تر :سعيد بوطاجين ،منشورات ضفاف،بدون طبعة،بدون سنة.

2- المراجع المترجمة إلى العربية:

- أديب عايدة بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري ،1925-1976،تر:محمد صقر ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر.
- باجو دانييل هانري ،الأدب العام المقارن ،تر:غسان سيد /منشورات إتحاد الكتاب العرب،سوريا ،1998.
- برونيل بير ،بيشو كلود ،روسو اندريه ميشال،ما الأدب المقارن؟،تر:غسان السيد ،منشورات دار علاء الدين، دمشق ،سوريا.

3- المراجع بالعربية :

- أحمد مكي الطاهر ،الادب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه ،مكتبة الآداب ،القاهرة ،مصر 2002.
- الأطرش يوسف ،المنظور الروائي عند محمد ديب،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ،2004.
- الأعرج واسيني ،اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ،بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986.
- بعلي حفناوي،أثر الادب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنية،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران،الجزائر،2004.
- بلاح بشير،تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1989)،الجزء الثاني،قسم التصفيف دار المعرفة ،مصر ،1958.

- بن سالم عبد القادر،مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق سوريا،2001.
- ثليلاني أحسن ،المسرح الجزائري والثورة التحريرية(دراسة تاريخية فنية) ،وزارة الثقافة،الجزائر عاصمة الثقافة العربية،2007.
- جمادي عبد الله،مساءلات في الفكر والأدب،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1988.
- الحلاق محمد راتب ،نحن والآخر،منشورات اتحاد العرب،دمشق،سوريا،2007.
- حنون عبد المجيد ،صورة الفرنسي في الرواية المغربية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1988.
- خضر محمد سعاد،الأدب الجزائري المعاصر،منشورات المكتبة العصرية،بيروت،لبنان،1967.
- الراجحي عبده،محاضرات في الأدب المقارن،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان،2007.
- الركيبي عبد الله،الفرانكفونية مشرقا وغربا، دارالأمة ،برج الكيفان،الجزائر،1993.
- سلوم داوود،الأدب المقارن في الدراسات التطبيقية،الطبعة الاولى ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة ،مصر،2003.
- شرف عبد العزيز ،المقاومة في أدب الجزائر المعاصر،دارالجبل،الطبعة الأولى،بيروت،لبنان،1991.
- شعلال عمر مختار،الرجلالحر،تر: محمد أوزغلة،دار القصبة،الجزائر،2007.
- الطمار محمد، تاريخ الأدب الجزائري ،الشبكة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،2007.
- العرود أحمد ياسين،محاضرات في الأدب المقارن ،المركز القومي للنشر ،أريد،الأردن،2007.
- علوش سعيد،إشكالية التيارات والتأثيرات في الوطن العربي،الطبعة الأولى،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب،1986.

- قاسم محمود،الأدب العربي المكتوب بالفرنسية،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،1996.
- الكيلاني إبراهيم،أدباء الجزائر ،دار المعرفة،مصر ،1958.
- مدني محمد ،مستقبل الأدب المقارن في ظل العولمة،دار الهدى للنشر والتوزيع،المنبأ-مصر،2001.
- المعوش سالم،الأدب وحوار الحضارات،الطبعة الأولى ،دار النهضة العربية ،بيروت،لبنان،2007.
- المناصرة عز الدين ،النقد المقارن،منظور جدلي تفكيكي،الطبعة الأولى ،دار
- مجدلاوي للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،2005.
- المناصرة عز الدين ،الهويات والتعددية اللغوية،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ،عمان ،الأردن،2004.
- ناوري يوسف ،الشعر الحديث في المغرب العربي ،الجزء الأول ،دار توبقال للنشر،المغرب ،2006.
- هلال محمد غنيمي،الأدب المقارن،الطبعة الثالثة ،دار العودة،بيروت ،لبنان،1983.

- **المجلات والدوريات:**

- خولة سليم،مجلة اللغة والادب،العدد 19 ،جامعة الجزائر،الجزائر،2009.
- الركيبي عبد الله،حوارات صريحة ،دار هومة،بوزريعة،الجزائر ،2000.
- عصفور جابر،تجارب في الإبداع العربي،الطبعة الأولى، وزارة الإعلام، مجلة العربي،الكويت،2009.

- **الرسائل الجامعية :**

- بلقاسم الأخضر الزاوي، صورة المدينة الجزائرية في الرواية العربية الجزائرية بعد الإستقلال عند البيركامو رسالة ماجستير،جامعة القاهرة،مصر،1998.
- توزان عبد القادر،الجزائر في أدب البيركامو ،رسالة ماجستير،جامعة بغداد،العراق،1985.

- **الملتقيات:**

- منور أحمد،الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة،مطبعةاقتياح،برج الكيفان الجزائر.

الفهـــــرس: